العلم

الغرض من التعليم تنبيه القوى العقلية وتدريبها ، وليس ثمة معلم يستطيع ان ينبه عقول تلاميذه ويدربها الاّ اذا استعمل عقله حراً من القيود. فاذا علّم ما يؤمر بتعليمه كان هو وتلاميذه كالآلة ، هو ينقل ما قيل له ان ينقلهُ ، وهم يقبلونه من غير بحث ولا مناقشة وكان العلم والتعليم سطحيين. ومتى قيد المعلم كذلك فقد احترامه نفسه وما له من مقام وكرامة في نفوس تلاميذه ، واذا فقد مقامه في نفوسهم عجز عن التأثير في عقولهم. والتعليم الصحيح يتوقف على اشتراك المعلم والتلميذ في البحث اشتراكاً حراً وهو يعلم ما يمليه البحث والفكر وهم ينقادون اليه لما في تدريبه من قوّة فيقودهم في سبيل البحث والتنقيب ولا يستطيع احد ان يقود غيره اذا لم يكن كلامه خارجاً من اعماق نفسه.

والمعلم المستبد بآرائه، المتعصب لها ، ينشئ طلبة جامدين، والدولة التي تجري على نظام تعليمي هذا أساسه تنشئ امة تهمل الحرية الفكرية اللازمة للارتقاء.

اننا لا نستطيع ان نملي على مجلس تشريعي مستقل ما يجب ان يقرّر فيه. ان الرأي العام قوّة عظيمة ولكننا لا نستطيع ان نكوّن رأياً عاماً ناضجاً من غير مناقشة، ولا مناقشة صحيحة من غير تعليم صحيح حرّ، وتدريب للعقول على التفكير المستقيم. فاذا حاول مجلس من المجالس التشريعية ان يقضي على حرية التعليم قضى على نفسه لانه قائم على حرية القول. واذا سعى الرأي العام الى طمس حرية الفكر والقول طمس صوته القوي، لان الرأي العام ينشأ من حرية الفكر والقول. وما من دولة دمقراطية تقدر ان تقضي على الحرية او تخمد حرية الفكر بدون ان تقضي على ذاتها وتخمد شعلة حياتها.

ان العلم والدمقراطية ، من حيث لباب الصلة بينهما، قوتان متفاعلتان: الدمقراطية تكفل للعلم الجوّ الذي يترعرع فيه ويزدهر. والعلم يدرّب العقول على التفكير الحر المستقيم، وهو ما لا غنى عنه في الدولة الدمقراطية. واذا صحّ ان صوت الشعب من صوت الله ، فيجب ان يكون صوتاً صادراً عن تفكير مستقيم ، والاّ صحّ فيه قول خصوم الدمقراطية : ان صوت الشعب صدى لصوت الشيطان ، وهم يقولونها تسويفاً لكبت هذا الصوت.

فؤاد صروف

المزارع

بقلم المهندس الزراعي عادل ابو النصر

◆

تسمعون اليوم حديثاً زراعياً ، يبحث عن المزارع وتأثيره في بناء الامة . المزارع كلمة لا نعيرها اهمية كبيرة ولا نقدرها حق قدرها بل نرافقها بشيء من الاستخفاف ، واحياناً بشيء من الازدراء .. ولكنها كلمة لها اهميتها ، ومكانتها من الاحترام في البلدان الراقية التي تعرف ماهية الزراعة .

من المعلوم ان الارض اساس الثروات ، وحيثيتها من حياة الامة لما ينمو فيها من نباتات تعطينا الغذاء ، ويجري فيها من مياهه تروي الظمأ « وجعلنا من الماء كل شيء حيا » .

المزارع يلعب دوره بين هذه العوامل ، فيهيء الارض للزرع ، ويحافظ على مياه الامطار ، ويقدم للنباتات الغذاء ، ويعتني بالمزروعات لتصير صالحة لبني الانسان .. فالمزارع روح البلاد ، ونافخ الحياة فيها ، ولذلك فهو يكرس اوقاته ليقدم لنا ما نحتاجه من غذاء وملبس ومال ، وقوة ، وجاه . هو اداة الانتاج ، وهو يتحمل برد الشتاء ، وحرارة الصيف ، وضربات الطبيعة ، وهو العامل الاول في موارد الثروة ، وعمادها الاوحد . فالمزارع يزرع لبلاده القمح ، وهو يفلح الارض ويبذر الحبوب ، ويحصد ، ويدرس ، ويكافح الآفات ويجعل من الحقول الجرداء حقولا ينبت فيها القمح ، فهو زغب الارض يغطي سطح التراب ويكسوها لوناً اخضر لامعاً ، يبهر الانظار . ويفرح قلب الانسان . ويجمل رونق الطبيعة ، فترى الطيور تحلق فوق السهل المزروع فرحة ، والشمس ترسل اشعتها الذهبية لتعجل في نمو هذا النبات والمزارع ينظر الى نموه بدقة ، وصبر ، وجلد ، وينتظر وقت الحصاد ووقت الحصول على المحصول .. فلا يأتي وقت الحصاد حتى يتغير اللون الاخضر ، ويصبح اصفر لامعاً وتمتلىء السنابل ، وتميل نحو الارض تواضعاً وخشوعاً ، فيأتي المزارع ويقطع هذه السنابل المتواضعة ، ويدرسها ويجمعها ويخزنها لتكون غذاء بني قومه ، ونحن ننظر اليه بشيء من الهزء ، والاستخفاف . انظر الى المزارع وهو يفلح ارضه بحراثه كيف يتصبب العرق من جبينه وكيف يتعذب حينما تقسو الارض وحينما يجد صخراً ، وحينما ينظر الى المستقبل فلا يجد الا نوراً ضئيلاً ..

انظر الى المزارع الذي يفلح الاراضي الجبلية كيف يصعد الى سفوح الجبال ، وينقب الارض بمعوله ، وينسف الصخور التي يجدها امامه ويبني الجدران ، ويكوّن من الجبال الجرداء جلولا صالحة للزراعة تدر الخيرات وتقدم المواد الغذائية اللازمة لحياة الامة ..

وما الفلاحة في الحياة الزراعية ، وفي حياة الامم سوى منبه للافراد . وما الخطوط التي يخطونها في الارض سوى طرق السعادة ..

فهو يزرع الخضروات ، ويزرع الاشجار المثمرة ، ويربي المواشي والطيور الداجنة ، ويزرع النباتات الليفية كالكتان ، والقطن ، لتعمل لباساً يقي الانسان من برد الشتاء ، وحرارة الصيف ، ويزرع النباتات الزيتية للمآكل والصناعات ، وهو يربي دود الحرير لنسج الالبسة الفاخرة . ويربي النحل لنجني العسل ، ونأكله غذاء لذيذاً وهو يقدم الى الصناعات المواد الاولية اللازمة .

ولولا المزارع لما استطاعت امة من الامم ان تحافظ على كيانها وكيان افرادها . ولولا المزارع لما رأينا افراد الامة تسير بصحة وقوة . لقد خلق المزارع ليسعد الامة ويقدم لها ما تحتاجه من مأكل وقوة ومال . لقد خلق المزارع ليبني المدنية التي تؤمن راحة هذا الكون .

لقد خلق المزارع ليؤلف الاغاني الطبيعية ، وينشرها كما ينشر الحبوب ، ويعلم الانسانية الرأفة والرحمة فهو يستمد من الارض القوة ، ومن الطبيعة روح الاستقلال .

هذا شيء قليل عن مهمة المزارع ، وتأثيره في بناء الامة ، فامام هذه التضحيات نرى من الضروري ان نهيء له اسباب الهناء ، وان نمهد له الطرق ليتمكن من تعزيز قواه ، وتحسين حالته الصحية ، والخلقية ، والمادية ، والزراعية ، ولا يكون ذلك الا بتحقيق المسائل الآتية :

اولا — من الضروري تحقيق مشروع النقابات الزراعية في البلاد لانقاذ طبقة المزارعين المجدة العاملة من حالة الضعف ، وانهاضها الى المركز اللائق بها ، وجعل وسائل الانتاج قريبة المنال من جميع طبقات الشعب .

وهذا النظام يحسن الزراعة ، ويجمع كلمة المزارعين ويعلمهم الاعتماد على انفسهم ويوجه قواهم نحو اصلاح حالتهم المادية والادبية وكل ما يرمي لنهضة الزراعة في البلاد ..

ثانياً — ولا يمكن تحقيق النهضة الزراعية الا بالمعاونة مع النقابات الزراعية التي تقرب وجهة نظر الحكومة من اذهان المزارع .

والاوفق في هذه البلاد ان يتغير وجه التعليم الحاضر لانه يخرج ابناء الزراعة عن افقهم ، ويلقي بهم متهافتين على الوظائف ويسيء الى البلاد ، ويهدم التوازن الذي عليه قوام الاعمال .

فالتعليم في بلادنا يجب ان يُبنى لذلك على الزراعة وان ينتشر التعليم الزراعي بين القرى والمزارع فتتقوى الاعمال الزراعية فتنتعش البلاد .

يجب ان توجه انظار اصحاب الاراضي الى الاعمال الزراعية الحديثة ، ويجب ايجاد بيئة زراعية تحيي البلاد .

ثالثاً — لا يمكن لامة من الامم ان تتقدم وترتقي اذا كانت زراعتها منحطة لا اثر فيها للفن الحديث .

ولا يمكن لاعمال المزارع ان تنجح اذا لم تقم على اساس العلم والاخلاص .

ان الاقدام على تحقيق المشاريع الزراعية يحتاج الى علم واسع والى دقة في العمل ، والى درس متين بحيث لا تنصح المزارع بزرع نوع من الاشجار المثمرة الا بعد ان تتأكد تاماً من نجاحه ، وان هذا النوع يوافق المناطق الباردة او المعتدلة او يوافق المناطق الشديدة الرياح ، ولا يتسنى لنا الحصول على المعلومات الا بانشاء مختبرات لمختلف الزراعات في مختلف المناطق لتساعد المزارع في مهمته وتقدم له ما يحتاجه من معلومات ، ونصوب ، ونباتات ، وبذار ، وسماد .

ولا يمكن لهذه الاعمال الزراعية الجبارة ان ترتقي ، الا بدائرة زراعية جبارة مبنية على اساس الاختصاص والاخلاص .

ومن المصلحة وضع برنامج زراعي عام تسير عليه الدوائر الزراعية لان النظريات التي تنجح في مكان ما قد لا تنجح في مكان آخر . والاعمال التي يمكن تطبيقها في محيط ما قد يتعذر تطبيقها في مكان آخر .

لذلك من الضروري اختيار النظريات الصالحة للتطبيق ، وهذا الاختيار اذا لم يكن فيه شيء من العلم ، والتنظيم يكون مصيره الانهيار .

ليس العيش كما قال « روسو » ان نعيش ونحن رقود ، ولكن العيش ان نعمل ، وان نستعمل كل اعضائنا وكل ما يجعلنا نشعر باننا نعيش » .

ليس العيش ان نهمل الزراعة بل العيش ان نشتغل بانفسنا وان نعتمد على سواعدنا ، وان نقاوم العثرات التي تقف امامنا . والطريق الى السعادة واضح ، لنشتغل في اراضينا المهملة ، لنعتن بالبساتين ، لنقلم الاشجار ، لنحرث ارضها المملوءة بالاعشاب ، لنكافح الافات ، لنجعل الزراعة غرضنا الاسمى فتقوم لنا مدنية حقيقية ومعها الحرية والنور .

لقد آن لنا ان نقوم بحركة قوية تنعش الاكواخ الحقيرة وتقوم البساتين المهملة وتهدي النفوس الحائرة .

لقد آن لنا ان نعلم ان لا حياة لنا الا بالزراعة ، فمن اللازم ان تسري هذه الروح بين الطبقات ، ومن اللازم ان نقتبس الاصول الحديثة والنظريات القويمة ، ومن اللازم ان نزرع حتى الصخور الصماء .

عند ذلك تقوم لنا مدنية حقيقية مبنية على اساس متين .

عادل ابو النصر



الكاتب

بقلم عمر فاخوري

يقول الرسام الفرنسي النابغة « دومييه » وهو يخاطب بالطبع ، زملاءه من ارباب الفن : « يجب ان نكون من زمننا . » Il faut être de son temps . يجب ، بعبارة اوضح ، ان نكون من زمننا ، وفي زمننا ، ولزمننا ، انا منذ بضع سنوات افحص في البكالوريا ، وكل دورة اسمع مئات من الطلاب والطالبات ، اذا ما سئلوا عن الشعر الجاهلي يلقون عليّ هذه الامثولة : يقولون ان الشاعر الجاهلي كان خطيب قبيلته ، وحافظ انسابها ، وحامي اعراضها ، الى آخر مـا هنالك من السجايا — بل الوظائف — الاجتماعية التي كان الشاعر في طور (يزعمون انه الطور البدائي) من اطوار الادب العربي ، موصوفاً او قائماً بها . ولا عجب ، فالادب مثل سائر الفنون الجميلة ، ظاهرة اجتماعية اصلاً ، ووظيفة اجتماعية فعلاً . في العمران البدائي نرى الفنون متصلة بالدين ، كفروع شجرة واحدة ، رسا اصلها ، وفرعها في السماء : من الرقص المقدس ، الى الغناء والترانيم ، الى النقش والتصوير على جدران المعابد والهياكل ، الى التمثيل الديني في افنيتها وحول ساحاتها .. الدين ، تلك المجموعة من معارف الانسان الاولى ، او التفسير الاول للكون : بدايته ونهايته ، واطواره واسراره ، وجميع حالاته الحاضرة والمغيبة ... وبين الآداب والفنون على اطلاقها من جهة ، والحياة العلمية والاقتصادية والاخلاقية من جهة ثانية ، تفاعل دائم مستمر ، لا يضره شيئاً لا الغفلة ولا التغافل عنه .

لست ازعم ان الاديب العربي اليوم رجل غير مرتبط بزمنه ، او على الاقل بواقيتنا . لا ، فهو في الاغلب ، يزاول مهنة اخرى يتكسب بها ، كالصحافة او التعليم او عمل الدواوين ، ولا يُستغنى في هذه المهن عن الساعة — الساعة الجماعية . لكن الاديب العربي ، اذا خرج الى السوق ، فهو يمضي في حاجاته المعاشية ، وقلما يذهب في حاجة ادبه او فنه . والحق ، ليس في مجتمعنا اشياء كثيرة يرضى عنها ، بل كاد لا يكون فيه ما يرضي مطلقاً ، في دنيا الكدح هذه ، في جميع مظاهر حياتنا . فلو نحن طالبنا الاديب بان « ينزل » الى السوق حيناً بعد حين ، فقد طالبناه اذن ، بان ينظر ويعرف ، ويعقل ويشعر ، وينفعل ويتحمس ، وليس بعد هذا — ويا للفضيحة — الا ان نازمه القيام بعمل اجتماعي ، بينا هو يؤثر الاعتزال في برجه العاجي ، في تفرّد حصين . كيف — يا رعاكم الله — تريدونه على التنـازل عن رسالة الاديب ، مستبدلا بها وظيفة الاديب ؟

« رسالة الاديب » .. لقد كان الانبياء وحدهم ، فيما غبر من الازمنة ، ذوي رسالة . فاذا كل من عليها اليوم ، له رسالة : الطبيب والمعلم والصحافي والمحامي ، ويتبعهم الاديب . حبذا لو ان هؤلاء جميعاً يقلون من التبجح برسالاتهم اقل كثيراً ، ويكـثرون من اداء وظائفهم اكثر قليلاً .

ولقد اخذ بعضهم على اديب (او متأدب) ما ، اشتغاله بالسياسة ، زاعمين انه يسخر فنه او ادبه ، بل الفن والادب ، لاغراض لا ادري بم ينعتونها ، او هم لا ينعتونها بشيء ، مخافة ان يُحملوا على الخروج من دائرة الغموض والابهام التي يجدون فيها راحـة نفوسهم ، مكتفين بايماءة يبدونها ، او لهجة يتصنعونها . يقولون ان الكتاب والشعراء هم حفظة القيم الانسانية الباقية ، وخالقو الامثلة العليا في عصر من العصور ، لجيل من الناس ، فلا ينبغي لهم ان يسفوا ، او يتبذلوا ، او يتعرضوا لما لا يعنيهم .. لكن ترى ، اية سياسة يعنون ؟ أإذا كانت كل قيمة انسانية ، وكل مثل اعلى ، عرضة لادهى خطر شهده التاريخ ، بينا الامم والافراد في معسكرين اثنين ، في نضال مدجج بالحديد ، مضرّج بالدم ، في ملحمة كملاحم الاساطير .. ترى ، أمن « الاشتغال بالسياسة » ان ينظر الاديب ويعرف ، ويعقـل ويشعر ، وينفعل ويتحمس ، ثم يرسل صيحة ، اويصعد زفرة ، او يهتف لاحد المعسكرين ؟ اكبر الظن ان « هؤلاء » الادباء ، انما ينعون على « هذا » الاديب ، اشتغاله « هكذا » بالسياسة ، لانهم في اقصى ضمائرهم لا يستطيعون « هم » ان يهتفوا للمعسكر الآخر . فانا لم نرهم يوماً وقد اخذ بعضهم على بعض ، انهماكه في سياسة ما ، سياسة تعيين المخاتير ، بله النواطير .

ان احدثكم عن القرآن واثره في بناء العالم العربي ، ولا عن شكسبير واثره في بناء التمدن الانكلوسكسوني ، ولا عن دانتي واثره

مهنتي وأثرها في بناء الامة

١٢

المربية

بقلم الآنسة روز غريب

منذ سنوات قليلة قررت وزارة المعارف في هذه البلاد ان تستبدل اسمها القديم باسم « وزارة التربية الوطنية » . ولم يكن التبديل مجرد تجديد لغوي ولا حدثاً مستغرباً في بابه ، فقد سبقتها اليه حكومات غربية . لكن هذا التبديل يهمنا بنوع خاص لانه يشير — ولو بصورة اسمية — الى تبديل خطير بل شديد الخطورة في تاريخ التربية ، واتجاه حديث في فلسفتها ، حملت لواءه الحكومات الراقية وحاولت تطبيقه، لا بتبديل الاسماء فقط ، بل باصلاح طرق التعليم في مدارسها وتعديل مناهجها وتجديد اساليبها باستخدام النتائج التي اقرها العلم التجريبي الحديث . أي فرق بين لفظتي « معارف » و « تربية » ؟ ولماذا كانت الثانية اصح دلالة من الاولى؟ . . . المتفق عليه عند الباحثين ان التعليم او نقل المعارف يعني تلقين الدروس او المواضيع المتنوعة كالحساب واللغة والطبيعيات وما شاكلها من المواد التي لا يهم المعلم فيها سوى ان يحفظ الطالب الدرس او يفهمه حتى اذا سئل في الموضوع يستطيع اجابة السائل ، هذا اذا لم يكن قد نسي ما تعلمه . اما التربية فتتناول غير هذا : هي عمل ابعد واوسع جداً من تلقين المواد او حشو ذهن الطالب بها . التربية تعنى بالانسان كله، لا بالذاكرة ولا بالعقل فقط . ولا تتخذ التعليم غاية بل وسيلة للنمو العقلي وسبيلاً لتغذية موهبة الخلق والابتكار . فان لم يحقق التعليم هذا النمو عدلت طرقه ليأتي بالنتيجة المطلوبة . التربية عملية متصلة تتناول العمر كله . لكن معظمها يتم بين الولادة والبلوغ . وهي ترمي الى النمو المتصل المطرد في جميع نواحي الحياة العقلية والروحية والاجتماعية والبدنية . اما التعليم فبناء محدود في ناحية واحدة محدودة من حياة الفرد .

هذا ما تعنيه لفظة « تربية » اذا قوبلت بلفظة « تعليم » . ولذا كان استبدال لفظة « معارف » بلفظة « تربية » امراً مستحسناً ، بل لازماً على شرط ان يكون التبديل فعلياً لا اسمياً فقط .

هدف التربية الحديثة اذاً — واعني هنا الابتدائية والثانوية لا التعليم المهني والاختصاصي الذي يليهما — هو اولا ان لا تكون تعليما بل تربية شاملة متوازنة تتناول جميع نواحي حياة الطالب . ثانياً : ان تكون هذه التربية ذات صبغة وطنية . فكيف تحقق هذين الطرفين؟

في بناء الوحدة الايطالية ، الى اخر حلقات السلسلة ، فهذا الاثر قد يختلف في نسبته الى العوامل الاخرى ، او في مقارنته بها ، لكن لا جدال فيه ، بحد ذاته . على انني لا اجد بداً من الاشارة هنا ، الى هذه الظاهرة العجيبة حقاً ، وهي ان الكتاب العربي المبين ، والطرف الانكليزية الخالدة ، والتحفة الايطالية الرائعة ، لمن حياة المجتمع وسياسته في الصميم . . وهل كان الاديب او الفنان الا رجلاً من امة ، وعضواً في مجتمع ، يأخذ ويعطي ؟ انه يتكلم بلغتنا ، ويستمد من بيئتنا ، ويعيش في جونا : هو ابن جغرافيته وتاريخه . فكل محاولة يأتيها كي ينسلخ من هذه الاصول الحية ، خطوة يخطوها نحو الانتحار ، انتحاره هو ، وتظل الحياة حياة — متطورة متبدلة متحولة . وما ادراك ؟ فلعل هذا ما يخشاه اكثر ادبائنا ، اذا حملوا على الانغماس في الحياة العامة — والحياة على اطلاقها — او بالاقل على الاتصال المباشر بها وبتياراتها . يخشون تطور تلك الحياة وتبدلها وتحولها ، وان يضطروا الى اكتناه هذا التطور ، او مسايرته ، او توجيهه ، وفي الامر ما فيه من جهد ، ادنى ما يقال في وصفه . . انهم في غنى عنه ، وكفى الله المؤمنين القتال . هكذا تنقطع الصلة بين الادب والحياة ، وتبعد الشقة بين الاديب والمجتمع . لكن ينتهي الامر بان يستغني المجتمع عن ادب لا يجد نفسه فيه ، اذ تلهو الامة بآدابها العامية مثلاً .

ان في المجتمع حياة زاخرة لا تعد حياة اي فرد ، مهما يكن عظيما ، بازائها شيئاً مذكورا . فكيف اذا كان هذا الفرد ولا همّ له الا ان يعيش متقلصاً منكمشاً على ذاته ؟ وللجماهير التي تتعذب وتكدح مطامع وآمال . ولها امثلة عليا تتوق اليها وتتطلع نحوها ، وتيمم شطرها . قد يكون ذلك كله غامضاً في سرائرها موزعاً في ضمائرها ، يتلجلج في الافئدة ، ويتمتم به على الالسنة ، فهو ينتظر من يبين عنه ويبرزه في صورته المثلى . اما اذا لم يوجد هذا الاديب او الفنان ، فالاديب او الفنان يكون غير موجود ، لكن المجتمع وحياته يظلان في الوجود . . في دنيا العمل والكدح هذه ، في دنيا الامل والفرح هذه . .

عمر فاخوري

لا يتسع لي المجال في هذه الدقائق القليلة لتناول الجواب بالبحث المسهب، لكني اشير الى ناحيتين من التربية جديرتين باهتمامنا الخاص، ومع هذا لا تلقيان منا سوى الاهمال ، لانها لا تدخلان في منهج الدروس ولا في نطاق الكتب . اعني بهاتين الناحيتين : التربية الاجتماعية والتربية الخلقية . فكلتاهما مكمل لا بد منه للتربية العقلية ، وكلتاهما تؤلف الجزء الاكبر من التربية الوطنية التي نرمي اليها .

اما التربية الاجتماعية فمعظمها درس عملي قلما يعتمد على الكتب او النظريات ، وهي تعني ان يتمرن الطلاب تحت ارشاد معلمهم على درس محيطهم القريب ، واكتشاف حاجاته المادية والمعنوية ، ومعرفة ما فيه من امكانيات قابلة الاستغلال ومن ادواء قابلة الاصلاح ، فيخلق بذلك صلة بين المدرسة ومحيطها ويدفع الطلاب الى مساعدة المجتمع والاندماج به وهم بعد طلاب ، فيزيد بذلك استعدادهم للحياة المنتجة . والتربية الاجتماعية تتناول ايضاً تمرين الطالب على التكلم في المجتمع بجرأة وصدق . كما تتناول تمرينه على العمل المجموعي او التعاوني الذي يرقي اخلاقه ويعاون حسن السياسة والاهتمام بالمصلحة العامة . اما الاعمال التعاونية فهي الجمعيات المدرسية والنوادي التي يديرها الطلاب بانفسهم ، والفرق الرياضية والمشاريع الادبية كالتمثيل والحفلات . وتفوقها اهمية مشاريع الخدمة الاجتماعية كأنشاء مكتبة تعاونية او مساحة رياضية او القيام بحملة صحية او تنظيمية او تهذيبية كتعليم الاميين وما شاكل ذلك . ويدخل في التربية الاجتماعية التثقيف المدني الذي يوقف الطالب على احوال بلاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ويطلعه بطريقة المشاهدة والرحلات والدروس العملية على مشاكلها وتقاليدها وتاريخها وجغرافيتها ، فيشعره انه ليس فرداً بل جزء من مجموع عليه ان يتعاون واياه على العمل والكفاح . والخلاصة ان التربية الاجتماعية تعنى ان لا نعزل الطالب عن الحياة ، فنقيم بينها وبينه حواجز ونرغمه على الانعزال في عالم الكتب ، حتى اذا ترك المدرسة وخرج الى الحياة الواقعية رأى الفرق شاسعاً بين حياته في المدرسة وحياته خارجها .

اما التربية الخلقية فتعد جزءاً من التربية الاجتماعية ، لكنها ، تستوجب منا عناية خاصة ، لانها دعامة التربية كلها واساس الاهداف جميعها . ولنذكر هنا ان التربية الخلقية في المدارس الابتدائية والثانوية هي الغرض الاول من التربية الانكليزية وان هذه المكانة التي تحتلها الاخلاق في مدارسهم سر من اسرار نجاحهم . فالتربية الخلقية هي اهم ما ترمي اليه دروس العلم الطبيعي والمختبرات عندهم حيث يتمرن الطالب على الدقة في التحليل والتبصر والاناة ، والتفكير العلمي المجرد من العاطفة ووزن القول قبل القائه . فالعلم هناك ليس لمجرد المعرفة بل لتكوين الخلق . ومثل ذلك دروس الادب والتاريخ فجميعها ترمي الى الاصلاح الاخلاقي وتربية الذوق والشعر والجمال .

اما عندنا فالتربية ، كثيراً ما تعتبر وسيلة لتحصيل الخبز ، وقد فاتنا ان تحصيل الخبز انما يتم بواسطة الاختصاص والمهنة ، لا بالتربية الابتدائية او الثانوية . وان التعليم عندنا قليل الفائدة اذا كنا لا نتخذه وسيلة لمحاربة الشرور والآفات التي اورثتنا اياها عصور الظلمة والانحطاط التي نحاول الخروج منها . فهناك النزعة الاتكالية التي تنعدم معها ميزة الابتكار والاستقلال في التفكير والعمل . ثم التقليد الاعمى لما مضى او لما نراه حولنا . ومنها التفرق المذهبي الذي يشل فينا كل حركة . ومنها الميل الى الكذب والرياء ، والخنوع من جهة والاستبداد من جهة اخرى وهي ميزات ازدهرت في عصور الذل والعبودية ولا تزال فينا آثارها الواضحة . فالمرؤوس خانع الرئيس لكنه مستبد في بيته ، والموظف ذليل امام مديره ، والمرأة تذل للرجل او تظاهر امامه بمظهر الرياء ، والولد ذليل امام والديه في الصغر مستبد بهما في الكبر . أليس من واجب التربية والحالة هذه ان تقوم بنصيبها في محاربة هذه العلل ؟ ولكن كيف يتسنى لها ذلك بالمواعظ والدروس النظرية ام بالتهديد الصارم؟ لا هذا ولا ذاك . فالتربية الخلقية في معظمها درس عملي يتوقف على طرق عملية منها تمرين الطلاب على الحكم الذاتي والعمل المستقل لكي يتعودوا تسيير امورهم ويحسنوا التصرف في غياب المعلم لا في حضوره ، فقط . فالضغط والمراقبة الشديدة ينفران الطالب من التمسك بالنظام ويدفعانه الى الاحتيال والمراوغة للتخلص من القصاص . ثانياً : تقوم التربية الخلقية على خلق الجو الصالح في المدرسة وهذا يتوقف على شخصية المدرس وطريقته في التدريس ومقدرته على اكتساب احترام الطلبة وثقتهم وذلك بما يلمسونه من انصافه واستقامته وصراحته وصدقه وعدم محاباته ، بحيث يسود المدرسة روح العدل والرضى والوفاق والنظام . وهنا لا بد من تعاون اسرة الولد مع المعلم على خلق الجو الصالح لتربية الاخلاق والا فان الوالدين بمثالهم السيء يهدمون ما يبنيه المعلم .

والان يحق لنا ان نتساءل : هل يصلح كل فرد مثقف لمهنة التربية ؟ والجواب هو ان مهنة التربية كغيرها من المهن تستدعي التعليم المهني او التخصص في مؤسسات التربية ولا شك في ان بعض الناس اصلح لها من بعض لا سيما اولئك الذين اتصفوا بشخصية قوية شاملة التكوين . ويرى البعض ان المرأة اصلح لها من الرجل . والواقع ان المرأة اصلح من الرجل لتربية الطفل في سنيه الاولى فقط . والمرأة

القاضي

بقلم وفيق القصار
رئيس محكمة الاستئناف

القضاء ركن وطيد واس متين في صرح المجتمع الانساني الذي لا راحة فيه ولا هناء الا اذا اساده العدل واستتب فيه الامن واستقرت علائق الناس على اساس السلام والوئام واحترام الحقوق والتزام الحدود والقيام بالواجبات ٠

ومتى كان العدل اساس الملك وكان القضاء منفذه وحارسه بدت اهمية القضاء واثره في حياة المجتمع، ذلك ان الانسان على الرغم مما خصه الله به من نعمة العقل وميزة الفكر وحضه عليه من عمل الخير واجتناب الشر لا يخلو من ضعف في النفس، والنفس امارة بالسوء فيعتدي على حقوق اخيه الانسان مسوقاً بالطمع والجشع والحقد والانتقام ٠

اشد اقبالا على مهنة التربية من الرجل لان المهن التي تحسن القيام بها قليلة محدودة والتربية واحدة منها ٠ بخلاف الرجل الذي يتسع امامه مجال الاعمال بصورة لا حد لها ٠

والعلم الحديث يرى ان قصر تربية الولد على المرأة وحدها امر غير مستحسن فالولد يجب ان يشترك في تربيته الام والاب لا سيما اذا جاوز سني الطفولة ، ويجب ان يستفيد من خبرة المربي والمربية والمجتمع بأسره فلا تستبد بتربيته الام وحدها ولا الوالد وحده ولا المربية٠ لان لكل من الجنسين ميزات تكمل نقص الاخر ٠ ولذا يصح القول ان الالمام ببعض اصول التربية يجب ان يكون جزءاً من الثقافة العامة للفتاة والفتى فان لم يصبح الرجل معلماً احتاج الى معارفه التربوية حين قيامه بدور الابوة والامر نفسه يصدق على المرأة ٠

*

اما واهداف التربية كما رأينا من الدقة والشمول فقد اصبح مترتبا على من يتخذها مهنته ان يكون من اهل الثقافة الشاملة والخلق الرفيع والضمير الحي والغيرة على المصلحة العامة هذا عدا اختصاصه في فن التربية ، سواء في ذلك معلمو الابتدائية والثانوية ٠ ومن الخطأ ان نعتقد ان التربية الابتدائية يمكن تسليمها لاي كان فهي تتطلب من الكفاءة والاستعداد ما يتطلبه التعليم الثانوي ٠ وليس من العدل ان تصبح مهنة التعليم ملجأ للعاطلين عن العمل او من سدت في وجوههم ابواب الارتزاق فليس كل من عرف القراءة صالحاً للتربية ٠ ولا يجدر باولي الامر ان يتخذوا لهذه المهنة غير اهل الكفاءة ٠ فما احوجنا الى توسيع ابواب العمل وتكثير المهن في هذه البلاد لكي يجد كل المهنة التي تليق به ولا يقبل على مهنة التربية الا من يليق بها ٠ وانه ليقع على عاتق الحكومة ان ترفع مستوى التربية في هذه البلاد برفع مستوى القائمين بها وذلك يتم اذا اهتمت الحكومة بتقدمهم المهني ومن وسائله ان تنشىء لهم المكتبات الغنية بالكتب العامة والخاصة لا سيما في القرى النائية عن العاصمة التي يسود فيها الجمود العقلي وتقل وسائل النمو الثقافي ثم بان تشجع نشوء المجلات التربوية فهي خير حافز للمعلم على التقدم والتثقف المستمر سواء بمطالعتها ام بالاشتراك في انشائها ٠

ويدخل في نطاق التقدم المهني التقدم المادي فراتب المدرس يجب ان يتناسب مع الجهود الشاقة التي تنتظر منه ٠ وكيف ننتظر من المعلم ان يقبل على عمله برغبة واخلاص وان يسعى للتقدم والابتكار اذا كان يشعر انه مغبون مهمل وانه لا يلقى المعاملة التي يلقاها اهل طبقته من المثقفين ، فالغبن يحط بمنزلته الاجتماعية وينشيء فيه روح الذل والصغارة او يدفعه الى الجمود واللامبالاة الا اذا كان من غير طينة البشر ٠ وهذه الحالة تقف حائلاً دون تقدم التربية والمربين وتمنعهم من توحيد صفوفهم وانشاء النقابات المنظمة القوية اسوة بالمحامين والصحافيين وامثالهم من اصحاب المهن الثقافية ٠ فعسى ان تنظر « وزارة التربية الوطنية » الى هذا الامر بعين الاهتمام فتتابع الاصلاح الذي بدأته في مدارسها والمدارس الاجنبية والاهلية ، وتواصل الجهود لرفع مستوى المربين وتوفير سبل تقدمهم المعنوي والمادي ٠

روز غريب

مهنتي وأثرها في بناء الأمة

١٤

الجندي

بقلم الياس رزق الله

من الدرك اللبناني

يشوقنا ، نحن الجنود ، قبل ان يعلو صرح الامة شامخاً بوجهه الجديد وينفض البناؤون فيه ايديهم من العمل، ان يكون لنا شرف المساهمة في هذا البناء الجليل ولو قصروا مهمتنا فيه على الترميم او جعلوا لنا من السلسلة حلقتها الاخيرة . فنحن ، اذا لم نكن متصلين مباشرة بالحلقات جميعاً ، مقيمون اقله عند حدود تآلفها ، حريصون على حسن ارتباطها وتماسكها . وليس من الزهو في شيء ان ندلل على خطورة الدور الذي يمثله الجندي في نهضة الامة اذا ما عصفت بها الارياح الهوج وهب اعصار الشر مقوضاً ثائراً ، فاعماله في هذا الميدان هي اليوم ، اكثر منها في اي زمن ، ملء الاسماع والابصار . لكن بحثنا يدور حول الرسالة التي تؤديها الجندية في زمن السلم ومدى تأثيرها في كيان الامة التي تفرض الخدمة العسكرية اجبارية على جميع ابنائها . فالجندية ايها السادة هي واجهة الوطن الشفافة ومدرسته التهذيبية الكبرى في البلدان التي لها تاريخها العسكري المجيد وحضارتها العريقة العامرة . فهي التي تتعهد النشء بجميع

ولم يكن الناس في زمن من الازمان متساوين في القوة والبأس والمال والجاه بل كان وما يزال فيهم القوي والضعيف والكبير والصغير والغني والفقير والذكي والغبي فكان لا بد لاحقاق الحق واقرار العدل بين الجميع على السواء ، من قضاء يمنع اعتداء القوي على الضعيف وتحكم الكبير بالصغير واستغلال الغني للفقير وذلك صوناً للارواح والاعراض والاموال وضماناً للحريات على مختلف انواعها في نطاقها المشروع .

فالقضاء سلاح الحق وسيف العدل المسلط فوق الرقاب يرهبه الظالم ويطمئن اليه المظلوم وهو مظهر من مظاهر تطور المجتمع الانساني وارتقائه بل هو من ضرورات المجتمع ومقومات اموره لانه الحارس الامين لجميع المصالح الاجتماعية والحكم العدل بين الناس .

ولذا كانت مهمة القضاء سامية ومسؤوليته خطيرة تثقل الكواهل حتى كان الكثيرون من اهل العلم يزهدون بها ويرهبون تحمل تبعاتها لا لشيء سوى الخوف من مزالق الخطأ في الحكم والتعرض لعذاب الضمير .

وقد ادركت الامم في جميع ادوارها واطوارها اهمية القضاء واثره في حياتها الاجتماعية فعمدت دوماً الى تعزيز مكانته وتقوية شوكته وجعلته سلطة من السلطات الثلاث التي يقوم عليها اليوم نظام الحكم في العالم المتمدن وخصته بامتيازات ومنح لم تختص بامثالها سلطات الحكم الاخرى اذ اولت رجاله حصانة يستمدون منها قوة للعمل بوحي الضمير وتأثير العدل لا يخشون في قول الحق نقمة او بأساً كيف لا والقضاء يتصرف باموال الناس واقدس حقوقهم واهمها حق الحياة بالحكم بالموت على من يستحقه من الائمة الاشرار من ابناء المجتمع

والقضاء ملاذ المستغيثين من مظالم الحكام اذا ما تجاوزوا حدود القوانين وانتهكوا حرمتها فيطالهم حكمه العادل مهما علا منصبهم واشتد بأسهم .

وهو فوق ذلك كله وفي بعض البلدان الغربية حامي الدستور يبطل عمل ممثلي الامة باعلانه عدم شرعية ما يسنونه من النظم والقوانين اذا ما كانت مخالفة للدستور بمناقضتها للحقوق والحريات المضمونة به .

والقضاء بعد ان كان وضعاً قومياً بحتاً لم يلبث بفضل انتشار روح المسالمة بين بعض الامم ان اتخذ مظهراً دولياً بان أعتبر اداة سلم عالمي فقبلت الدول رغم تمسكها بالسيادة القومية بانشاء محكمة عدل عليا في مدينة « لاهاي » للنظر في الخلافات التي كانت تحتكم فيها الامم اليها لضمان السلم ومنع اسباب الحرب

وسيمثل القضاء الدولي دوره باجلى مظهر وابلغ اثر بعد ان تضع هذه الحرب اوزارها فيقتص كما اعلن ذلك رؤساء وقادة الامم المتحالفة ، من مثيري هذه الحرب الطاحنة ومسببي هذه المجزرة البشرية الهائلة التي اغرقت العالم في نجيع من الدماء وانزلت به الكوارث والاهوال . وخلاصة القول ان القضاء دعامة كبرى في المجتمع الانساني الزاخر بالاطماع والعاصف بالاهواء البشرية وهو ركن وطيد في بنيان قومية الامة . فاذا ما شاءت هذه البلاد ان تقيم استقلالها الناشيء على قوائم راسخة الاساس فعليها ان تعزز قضاءها لان عزة القضاء واستقلاله مظهر من مظاهر عزة الامة وسيادتها .

وفيق القصار

وسائل التقويم ، وهو بعد طري المظهر ندي العود ، وتحرق في بوتقتها التطهيرية جراثيم الانشقاق والتفسخ فتطبع جميع ابناء البلاد ، على ما تطامه فيهم الحياة من تباين في النزعات وتنافر في الميول والمكانات الاجتماعية ، بيسم الوطنية الصحيحة والمساواة الحقة والاخاء المكين ، فيعودون الى صفوف امتهم الطالعة ، وقد الفوا روح الانقياد وتمكنوا من حب الواجب ، ويقيمون نفسهم اشعاعاً لحسن الانتظام في البيئة التي يعيشون فيها ، فرعاية الثكنة تؤلف في هذا الباب جزءاً متمما لعناية الاسرة وعمل المدرسة او هي تفوقهما شأناً في اعداد العناصر الصالحة للبنيان الاجتماعي . ليس الجندية في بلادنا تاريخ ، ولا تقاليد وهي في نظر السواد الاعظم من اللبنانيين مهنة يصدفون عنها ويخشونها او يأنفون خشونتها ، كأنما كتب لنا ان نعيش على هامش الحياة فنأخذ منها اكثر مما نعطي ونحمل من العيش الطفيلي دستورنا الاساسي وحقنا المشروع . فبناؤنا اذاً ، مهما علت جدرانه وتوافرت له عناصر النمو والارتقاء ، يظل ناقصاً ما لم يرتفع فيه جناح خاص للجندية ويبعث فينا ميل صحيح الى اعتناق هذه المهنة الشريفة فيقبل عليها جميع المواطنين على السواء . اما مجموعة الدرك ، وهي احدى فصائل الجندية التي لم تحرمها البلاد ، فانها ترجع في تاريخ نشأتها الى اواسط القرن المنصرم . وهي ما تزال منذ ذلك العهد تماشي البيئة اللبنانية المنبثقة متأثرة بجميع التطورات التي طرأت عليها . وقد عهد اليها امر المحافظة على الامن الداخلي وصون حريات الناس ومؤازرة السلطات على اختلافها . بيد ان علاقتها بتشييد بنائنا القومي تتخطى حدود الصون والمحافظة . فالدركي حجر الاساسي في بناية العدل ، يكتب على نفسه ، اذ يرتدي الثوب العسكري صكاً بان يبذل راحته وحياته لكي يؤمن لاصحاب المهن جواً هادئاً لعملهم . وله الى ذلك ، في كل مهنة شعبة فرعية يخدم بها الراعي ويسوس الرعية على قدر ما تتطلب ذلك خدمته ورعايته . ولقد يستغرب البعض ان يكون على الدركي في مهنته الوضيعة ان يلم بشيء من علم المحامي في ما يرافع والطبيب في ما يعالج والمهندس في ما يصمم والمصور في ما يرسم والصحافي في ما ينشر والمرشد الاجتماعي في ما يعظ ويردع ويقوم ، وانهم ليستغربون اكثر من ذلك عندما يعلمون انه قد لا يسع واحداً من كل هؤلاء ان يؤدي عمله بدون مؤازرة هذا الجندي في ما يعمل . فهي في ذلك ، ازاء السلطة العسكرية التي تأمره والسلطة العدلية التي تجعله جزءاً متصلا بها والسلطة الادارية التي لا يقوم لها عمل بدونه ، لا يعتبر مساعدا ثميناً فحسب بل انه يعد بحق عاملا ضرورياً في حقل البناء القومي وعنصرا جوهرياً لا غنى عنه لجمهور البنائين . الا ان هذه المهمة التي تثقل كاهل الدركي هي اكثر المهام دقة لانه يلاقي في ادائها عقبات وفرة كأداء . فهو يسير بحكم وظيفته المتشابكة في ممرات ضيقة وعرة احياناً ، يضطر معها ، اما الى القيام بالواجب وفيه غالباً ما يغضب الناس ، واما الى ارضائهم وقد يكون في ذلك ما يتنافى مع الواجب ، ناهيك بما يتعرض له من التضحيات وانكار الذات وما يلقاه في سيره من شظف العيش ونشوفة الحياة . واذا كانت وظيفة الدركي او في الوظائف مشقة فهي الى ذلك اكثرها عقوقاً وأشدها خطورة . فالمجرمون يناصبونه العداء ويتحينون الفرص للايقاع به يلهبهم روح الانتقام وثورة الحقد ، وانانية قسم كبير من صلاح الناس ، وللاسف ، تصدمه في وقف المخالفات اذ يولونه اشمئزازهم في كبر غير مبالين بالكرة الوطنية الشاملة والمنفعة العامة التي يقف نفسه على صيانتها • فهم بدلا من ان يروا فيه رجلا تطوع لخدمة مجتمعهم وتجرد لحماية القانون الذي تسلم بسلامته حياتهم ومصالحهم ، ينظرون فيه طفيلياً سمجاً خبيث النية سيء الارادة . وليس من غرابة في كل هذا العقوق الذي يلقاه الدركي في عمله اذ ان احتكاكه بطبقات الناس لا يأتي في الغالب الا من الناحية التكديرية المزعجة ولم تره يوماً يكلف نقل البشرى وحمل بطاقات الافراح . فبينما يكون بناؤو صرح الامة اذاً وقادة الفكر فيها عاملين على رفع مستواها الاجتماعي وتوجيهها نحو المثل العليا الخليقة بها ، ينشط هو الى المحافظة على ما يصممون وتمكين ما يبنون فيقيم نفسه ظهيراً للبناء حريصاً على وقايته من العبث والتهديم . فالقسط الذي يؤديه الى جانب هؤلاء يتناول النزعة الجرمية المتأصلة في النفوس . وقد اثبت علم الاجتماع العصري انه مهما تقدم الفكر البشري وتسامت الاخلاق فيه تظل شأفة الشر كامنة في الصدور كمون النار في الحجر وهكذا ، فهناك اناس ، هم المجرمون والقتلة ، لا قيمة لاخيهم الانسان في ضميرهم المظلم الا بما يتوفر له من مظهر خارجي ولذب جنسي • وقد نجد من امثال هؤلاء نفرا بين من حسنت تربيتهم وارتقى فكرهم ينزعون الى الشر لهوى في النفس او اشباعاً لحقد او رغبة في الانتقام . فلتسلم اوصال الامة من التفكك المرير والفوضى القاتلة ، لا بد اذاً من قيام عامل يفرض التوازن بين الافراد وهذا العامل هو القانون وعامل القانون هو رجل الامن الذي يقف عند مفترق العقائد ، ومهب المطامع ، وفحيح المنازعات ، فيشير باصبعه الناحلة الى الحدود التي تنتهي فيها حقوق امرىء لتبتدي حقوق سواه . واذا حذف هذا العامل من « ورشة » البنيان القومي اشتبك الخصان واصطدم الطامعان وتقوضت جدران البناء . فكما انه لا يسع الامة ان تسير قدماً في معارج الرقي ما لم ينر امامها الهداة مشاعلهم الوهاج كذلك لا يسعها ان تسلم من الكبوات ما لم يكن هنالك من يعمل على تنقيتها من الرواسب الجرمية ويتتبع السوس الذي ينخر جسمها ويقض مضاجعها . لانه اذا كان للمجتمع الانساني بناؤون ومصلحون فان فيه هدامين ومجرمين ويقتضي ان يكون له الى ذلك مرممون ومؤدبون .

فرجل الامن ، ذلك القانوني الحي يسير بين الناس منذراً واقياً ، هو الذي يؤلف نقطة الاستناد في الجهاز الاجتماعي ويؤمن انسجام العمل فيه الاعضاء الامة كافة • وهو اذا ما اعتقل الجاني لاينقص للمجنى عليه فحسب بل انه يحمي المجتمع من الشر ودعاته ، واذا عمل على قمع مخالفة صحية يساهم في المحافظة على المواطنين من الامراض والاوبئة ، اوصان الشجرة من ايدي العابثين يحفظ بذلك للامة ثروتها وللوطن جماله . فليس هذا الرجل اذاً اداة تقتص اكثر منه يدا تحمي . ومهمته المتشعبة المترامية انما لها مساس بجميع الناس على السواء ، وهو يتطوع لها مختارا فيمضي في طريق العمل الاجتماعي تحدوه عاطفة الواجب ويحفزه روح عسكري نبيل ، لا ينثني الا وقد وفى ذلك الواجب كاملا او يقع صريعاً في طريقه اليه .

الياس رزق الله

ملاحظة : بهذا الحديث الرابع عشر تمت سلسلة احاديث الشباب التي اذيعت من محطة راديو الشرق ببيروت – بعنوان : « مهنتي واثرها في بناء الامة » والتي تولت مجلة « الاديب » نشرها تباعاً • فنشكر لمحطة راديو الشرق عنايتها الكبرى بشؤون الثقافة في هذه البلاد ، واهتمامها بتوجيه الشباب في مختلف ميادين الحياة توجيهاً حصيفاً صحيحاً .

الى الحبيب الذي كبر عهد الصبا

●

يا صاحب المنزلِ القديم على ... ماضي الليالي وسالف السِّيَرِ

أقمتَ للحسنِ مأتماً عجباً ... فكلّ وادٍ يضجُّ بالخبرِ

أوحشكَ الماءُ والرواءُ وما ... قد كان بين الخدودِ والطُّرَرِ

واصبحتْ خمرةُ الجمالِ لها ... طعمُ الحميّا من غيرِ ما سكَرِ

فيا شريكَ البستان ان لنا ... الف غناءٍ عن خضرةِ الشجرِ

سنابلُ الحقلِ في تمايلها ... لا تكتسي حلّةً من الزَهَرِ

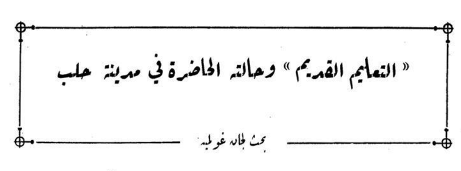
وموقعُ الغيثِ وهو منتجعٌ ... لم يبقَ في حاجةٍ الى المطرِ

انتَ كتابٌ للحسنِ منبسط ... قد حكّموا فيه رأيَ مختصرِ

فلا تقطّب على اربيعِ ولا ... تنسَ الذي في مخابىء الثمرِ

وانّ للمسك في مداهنه ... بقيةً من زمانه العطِرِ

امين نخله



« التعليم القديم » وحالته الحاضرة في مدينة حلب

بحث لجان غولميه

تلخيص : رئيف خوري

يظهر المسيو جان غولميه اهتماماً نشيطاً بمختلف قضايا التعليم في سوريا . وقد اتاح له منصبه مفتشاً للمعارف ، قبل تولي مصلحة الانباء والاذاعة ، أن يطلع اطلاعاً دقيقاً على شؤون التهذيب في الوطن السوري . فكان من آثار جهوده في هذا السبيل دراسة علمية رجع فيها الكاتب الى مصادرها والى اختباره الشخصي ، واستعان بعدد كبير ممن سبقت لهم معرفة قيمة بالموضوع . وقد ساق البحث مذيلاً بمصادره مضبوطة ضبطاً علمياً وافياً بحيث يمكن القاريء ان يرجع الى الاصول اذا شاء .

ولا يتسع المجال لسرد المصادر التي اعتمد عليها المسيو غولميه ، لتعريب بحثه كله تعريباً حرفياً ، فان الصفة العلمية الدقيقة التي غلبت على هذا البحث جعلته خاصاً بالعالم المستقصي لا بالقاريء العادي . ولذلك وجدنا من الخير ان نلخص المقال تلخيصاً مع تعريب الفقرات الضرورية منه .

يقصد المسيو غولميه بـ « التعليم القديم » ما كان قائماً على الطريقة الدينية الاسلامية وممارساً في المؤسسات التهذيبية التابعة للمساجد والاوقاف من كتاتيب الاحياء الصغيرة الى المدارس الكبيرة .

ويقول في مفتتح البحث ، عندما يجري ذكر التعليم في سوريا ، يتجه الفكر دائماً الى المؤسسات التي انشأتها وتونها الحكومة ، او الى المعاهد الخاصة التي تتصل باصل اجنبي ، او الى المدارس التي اقامها سوريون على نموذج من المعاهد الاوروبية . والكراس الذي طبعته وزارة المعارف السورية سنة ١٩٣٦ لمناسبة « معرض دمشق » لا يشير الا اشارات سريعة متواضعة الى « المدارس القرآنية او الكتاب » ويتجاهل تمام التجاهل نوع التعليم الذي يبث وفق اصول الاسلام ، ولا يفسح الكراس لهذا النوع من التعليم الا مكاناً ضئيلاً في اللوائح السنوية . وبزنتاي في سفره القيم عن التعليم في سنجق الاسكندرون لا يعتبر الا المدارس الرسمية . وبهجت شهبندر في دراسة له حول « مدارس المعارف بين الامس واليوم » يكتفي بايماءة مستعجلة الى المدارس الدينية .

والواقع ان هذه النظرة التي لا تخلو من استصغار لشأن التعليم القديم ومؤسساته ليست بالجديدة . فـ « السلنامة » الرسمية التي اصدرتها الحكومة العثمانية لولاية حلب ، وهي اثر مليء بالفوائد من كل نوع ، ساكتة تمام السكوت عما يتعلق بالتعليم القديم . وهكذا القول في المسافرين الاوروبيين الذين طافوا البلاد العربية في اوقات مختلفة ، فقد بدا انهم لم يلحظوا الاهمية التي اختص بها التعليم القديم في كل العصور .

اننا نرى في الامر تفريطاً كبيراً فليس التعليم القديم موضوعاً من مواضيع الاهتمام التاريخي مجرداً عن الحياة وعن كل ما له ارتباط بالحياة ، كما يخال المديرون الاجانب الذين تضللهم وجهة نظر بعض المواطنين ، الاولى يتظاهرون تظاهراً باحتقار « التعليم القديم » .

ويتابع المسيو غولميه حديثه ، فيلم بالاسباب التي عملت على اضعاف « التعليم القديم » رغم موارد الاوقاف الغزيرة ، ورغم مدفوعات الطلاب . فينحي باللائمة على قلة الامانة عند بعض القائمين على امور هذا التعليم ويشجب بعض العوامل السياسية التي توخت اضعافه ، وينقد نقداً صريحاً سلوك الحكومة تجاهه .

ولكنه يعود فيلاحظ ان « التعليم القديم » في مدينة حلب يبدي انتعاشاً ونهوضاً ،رقوبين اشبـه بانتعاشه ونهوضه في مصر عقيب حركة المنار (1) وفي تونس ومراكش والعراق حيث يبدو حرص قوي على احياء تعليم اللغة العربية والتاريخ العربي يداً بيد الى جانب تعليم الشريعة والاخلاق .

ويلاحظ الكاتب في ذلك كله جهداً واضحاً يبذله الاسلام في سبيل مماشاة مقتضيات العصر وفي سبيل تركيز المطالب الوطنية في كل قطر على التراث الثقافي القديم . ولكن العامل السياسي ليس هو الوحيد في هذا الانتعاش والنهوض . « ان التعليم القديم قد تمتع دائماً بحب الشعب . ويكفي ان يراجع القارئ ذكريات الدكتور طه حسين عن طفولته (2) ليلمس مقدار الاجلال الذي تتمتع به العلوم الدينية في ارض الاسلام . وليدرك الامتعاض المألوف الذي يظهره الجمهور نحو حملة الشهادات من المعاهد الحكومية . »

والذي يراه المسيو غولميه ان : الاساليب الاوربية التي اعوت كثيراً من المسلمين في مطلع القرن التاسع عشر ، قد فقدت قوتها على الاغواء ، كما يظهر .. والمحل المتواضع الذي افرد لتلقين العلوم الدينية في معاهد الدولة قد حمل المسلمين على الاستهجان .. وبرهان ذلك ان العلماء ما زالوا يراجعون الحكومة السورية مصرين على جعل الامتحان الديني شرطاً من شروط الشهادة الابتدائية بل شهادة البكالوريا نفسها . » ثم يعرج الكاتب على مسألة يتسع فيها مجال التفكير ، فيقدر ان هذا الانصراف الملموس الى التعليم الديني يتصل بالخيبة التي تحسها النفوس الظمأى التي تطلب اليقين ، فلا تعطيها العلوم الاوربية الا فرضيات وتقريبيات ، فتعدل عنها الى الدين الذي يقرر الامور تقريراً قاطعاً . ثم يتساءل المسيو غولميه قائلاً : أليس من المشروع ان نرى بين المسلمين حركة اشبه بتلك الحركة التي رجعت منذ عهـد قريب بكثير من النفوس الاوربية الطيبة الى الرياضات الغيبية ؟ اما الدافع فواحد بالنتيجة وهو : ان مدنيتنا قد انتظر منها الناس فوق طاقتها ، وقد اثارت كثيراً من الامال الواسعة التي لا تخلو من سذاجة ، ثم انكشف ان هذه المدنية عاجزة عن الوفاء .

ومن ثم يدخل المسيو غولميه في صلب البحث ، فيبدأ بفذلكة عن « دار الارقم » .

دار الارقم (3)

كان منشأ هذه المؤسسة ان عدداً من الطلاب المسلمين ، الذين التحقوا بالجامعة السورية في دمشق ، اجتمعوا ، حوالي سنة ١٩٣٤ ، فبحثوا الوسائل والاساليب التي تؤدي الى احياء ثقافتهم القديمة . وكانت الاجتماعات ، اولا ، اشبه بجلسات ودية من الاصدقاء لا يضبطها توقيت ونظام . فما لبث ان انضم الى هذه الحلقات عدد من طلاب التجهيز ، فاتسعت الحركة ، واصبحت الاجتماعات منظمة ، يؤمها « امام » من الطلاب ، تفتح وتختتم بقراءات من القرآن . اما المجادلات فيها فكانت تدور حول شتى المواضيع من علمية ، وتهذيبية ، يسودها نفس من روح الامام الغزالي .

وعاد نفر من هؤلاء الطلاب الى حلب ، فوجدوا من الواجب ان يواصلوا اجتماعاتهم بعد ان خبروا فوائدها . وآزرهم في ذلك شباب موظفون واساتذة في تجهيز الحكومة ، واطباء ومحامون تخرجوا من اوربا . فكان ان تأسست في سنة ١٩٣٦ ندوة رخص لها من الحكومة باسم دار الارقم تيمناً بالدار التي كان يجتمع فيها الرسول محمد باتباعه في مكة اول عهد الاسلام .

وقد تفرعت هذه الندوة الى لجان عدة تتقاسم الاعمال . فهناك اللجنة المخصوصة بالمسائل الاسلامية تقوم على تفهم الواجبات الدينية وتلقين ممارستها ، ومن واجباتها ايضاً ان تنشئ العلائق بينها وبين سائر المنظمات الاسلامية حتى في اصقاع الارض النائية ، كجاوه وسومطرة . وهناك اللجنة المخصوصة باخبار المسلمين والعالم الاسلامي ، ثم اللجنة الموكلة بالسهر على الاخلاق ، واللجنة الموكلة بمكتبة الندوة ، واللجنة التي يرجع اليها في الخلافات بين اعضاء الندوة . وقد تألفت على سبيل القدوة بدار الارقم ، ندوات اخرى شبيهة بها في دمشق ، وحمص ، وبيروت ، واللاذقية . ويعرف مجموع هذه الندوات باسم « رابطة شباب محمد » التي تلتف جميعها حول دار الارقم في حلب . وظاهر ان الغرض من هذه الدار انما هو روحي واخلاقي كما يبدو . فلا مجال فيها للسياسة ، وللعمـل السياسي ، وان كان اعضاؤها لا يخفون ميولهم الوطنية . ومن شاء ان يزداد اطلاعاً على هذه الدار واعمالها ، فليراجع مجلة الجامعة الاسلامية الحلبية ، فهي لسان حالها .

الكلية الاسلامية

وقد كان الدافع اليها ما يشعر به مسلمو مدينة حلب من النقص لعدم وجود مدرسة ثانوية تستطيع ان تنافس المدارس العصرية الاجنبية من جهة العلوم ، وتكون في الوقت نفسه مطبوعة بالطابع الاسلامي . والواقع ان بعض الاهالي كانوا قد قاموا بتجربة في هذا السبيل ، فأنشأوا المدرسة الفاروقية والشرقية فجعل هذان المعهدان وكدهما ان يجمعا بين التعليم الديني والتثقيف العصري . ولكن التجربة لم تكن ناجحة لاسباب اهمها المزاحمة والمنعنات الشخصية . فرأى مسلمو المدينة ان يصرفوا جهدهم الى عمل جديد ، فقرروا انشاء كلية كبيرة تطبق برامج التعليم الرسمية حتى شهادة البكالوريا وتلقن العلوم الدينية ، كالفقه والاصول والحديث . وعلى ذلك تألفت لجنة من وجهاء حلب قوامها راغب الطباخ ومعروف الدواليبي والحج كامل هيكل وغيرهم ، فجمعت التبرعات الكبيرة من الاوقاف ومن الافراد ففتحت احدى قوابل قرية الباب ، شمالي حلب ، الفي ليرة ذهبية لمعاضدة المشروع . وبوشر اقامة بناء خاص بالكلية سنة ١٩٣٧ ، ولكن وقوع الحرب سنة ١٩٣٩ دعا الى تأجيل العمل على ان يعاد اليه حين ترجع الظروف العادية الى البلاد .

الكتاب في حلب

والكتّاب في سلم التعليم القديم ، معادل المدرسة الابتدائية . وقد احصى المسيو غولميه كتاتيب حلب فاذا هي خمسة عشر كتاباً للذكور ، وسبعة للاناث ، وسبعة اشبه ببساتين الاطفال . ويقدر المسيو غولميه ان هذا العدد ضئيل جداً بالنسبة الى سكان المدينة الذين ينيفون على ٢٩٢٠٠٠ نسمة . فواضح ان كثيرين من احداث المدينة لا يستطيعون ان يجدوا مكاناً لتلقي العلوم ، بالرغم من المدارس الصغيرة التي تنبت في الاحياء ، نباتاً عفوياً بهمة من الاهالي لا تساهم فيها الحكومة . ولا شك ان النقص في عدد معاهد التعاليم الابتدائي يفسر كثيراً من حرص الاهالي على الكتاتيب وتقديرهم خدماتها .

وبحث المسيو غولميه مختلف النواحي المتعلقة بالكتاتيب بحثاً على قدر من الدقة والتفصيل . فبسط مواضع الكتاتيب وتوزعها في الاحياء ، وذكر طلابها واساتذتها ، واساليب التدريس ومواده ومرتبات المعلمين والاقساط الشهرية التي يؤديها الطلاب .

المدارس

والمدرسة هي الدرجة الثانية بعد الكتاب في سلم التعليم القديم . ويقسم المسيو غولميه صنف المدارس في حلب الى قسمين ، فقسم لا يزال ينهج الاسلوب القديم بلا تعديل ولا تبديل ، وقسم طرأت عليه درجات متفاوتة من الاصلاح بعد الحرب العالمية الاولى وقيام عهد الانتداب .

اما المدارس التي دخل عليها الاصلاح ، فيعدد منها المسيو غولميه ، المدرسة الاسماعيلية والقرناصية ودار الحفاظ والمدرسة الخسروية . ثم يورد فذلكة عن كل من هذه المدارس ، فيذكر منشأها ومركزها والاوقاف التي تستمد منها الخ . .

فالمدرسة الاسماعيلية انشأها على جامع قديم ، والي حلب اسماعيل بن محمد الحكمدار ، وكان والي المدينة من قبل ابراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير بين سنة ١٨٣١ و١٨٣٧ م .

والمدرسة القرناصية بناها بكتار القرناصي حوالي سنة ٧٧٠ هـ ثم زاد عليها اسماعيل آغا بن عبد الرحمن الشريف حوالي سنة ١٢٢٤ هـ احدى عشرة غرفة .

ودار الحفاظ برزت الى الوجود عقيب تجدد المدرسة الخسرويه ، حوالي سنة ١٩٢٠ م . وهي مؤسسة خاصة بتجويد القرآن .

ويطيل المسيو غولميه حديثه عن المدرسة الخسرويه باعتبارها اهم المدارس ، اسسها خسرو باشا سنة ١٥٣٧ م ، وكان والي حلب من قبل السلطان العثماني سليمان القانوني . ولا يستطيع اي تلخيص ان يفي بحديث المسيو غولميه عن هذه المؤسسة ، فيجب مراجعته في اصل المقال

ثم ينتقل الكاتب الى القسم الاخر من مدارس حلب اي : القسم الذي لم يطرأ عليه تعديل او تبديل ، بل هو باق على الاسلوب الموروث . ولا شك ان هذا القسم اضأل اهمية من القسم الاول . وابرز مدارسه التي يعددها المسيو غولميه هي: دار الحديث ، والمدرسة الخلاوية ، والاحمدية ، والسيافية ، والبهائية ، والعثمانية ، والدليواتية ، والشعبانية .

ويلحق المسيو غولميه ، بحديثه عن مدارس حلب فقرتين تمتان الى هذا الباب بصلة وثيقة احداهما تدور حول الحلقات المسجدية التي يجري فيها تلقين العلوم الدينية كما كان الامر ايام عصور الخلفاء الزاهرة في مساجد البصرة مثلاً . اما الفقرة الاخرى فتدور حول الوعظ الديني من على المنابر ايام الجمع والاعياد . وقد كانت المواعظ وما زالت اشبه بدروس يلقيها الامام لتفقيه الناس في امور دينهم .

خاتمة

وجدير بنا وبالقاري، ان نقف وقفة غير مستعجلة عند الخاتمة القصيرة التي ينهي بها الكاتب بحثه الدقيق . فهو لا يعتبر مقاله اكبر من فاتحة يتمنى ان تفتح قابلية المستشرقين وعلماء الاجتماع ليبحثوا حالة التعليم القديم في الاقطار العربية وفي سوريا ، فانه موضوع من الاهمية بمكان كبير .

ويقول المسيو غولميه . انه لم يرم الى الدفاع فقط عن مؤسسات التعليم القديم . فهو يرى من الجلي انها لا تبرأ من قصور في تنظيمها . ويوجه انتقاده الى اساتذتها الذين يحصرون عملهم في نصوص متعارفة مشهوده ، يسلمون بقيمتها سلفاً وفق العرف والعادة ولا يكادون يخرجون في شرحها عن نطاق اللغة الى ميدان علاقتها بالحياة . فتكون النتيجة ان الثقافة التي يتلقاها الطلاب على ايديهم هي ثقافة كتبية منقطعة لا امتزاج لها بحقيقة الحياة ، وكان الواجب ان تكون هي المعبر الامين عن هموم جيل ومطالبه .

ويشك المسيو غولميه في ان هؤلاء الاساتذة على تبحرهم ومعرفتهم ، قد هضموا ثقافتهم القديمة حق الهضم ، اي: نظروا اليها في ضوء الحياة التي صدرت عنها ثم في ضوء الحياة الحاضرة في البلاد . وهو يجد من الضروري ان يعمد هؤلاء الاساتذة الى التآليف في العلوم القديمة بطريقة اقرب الى العصر تلافياً للضجر الذي يقع فيه الطلاب ، وهو ضجر ملحوظ يجعل الطالب متابعاً للدرس وليس همه الا النجاح في الامتحان لينال الشهادة ويكسب رزقه .

لقد كانت هذه المدارس في عصور العرب الزاهرة ، مباءة لتبحر للديذ في الامور الانسانية فيجب ان تعود كذلك ، وانه لشيء غير مستحيل ، اذا غيرت الهيئات الجامعية والسلطات ، وقفها من هذه المؤسسات ، واخاص المشرفون على الاوقاف في اختيار المدرسين ، باعتبار كفاءتهم قبل كل اعتبار .

رئيف خوري

---

(١) المنار اسم مجلة اسلامية ، انشأها الشيخ رشيد رضا وسار فيها على خطى الامامين الكبيرين محمد عبده وجمال الدين الافغاني .

(٢) المقصود كتاب الايام

(٣) في سيرة الرسول انه بينما كان سعد بن ابي وقاص في نفر من المسلمين – قبل الجهر بالاسلام – يصلون في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين فناكروهم وعابوا عليهم صلاتهم ، فلم يعبأوا بهم فازداد بالمشركين الطغيان حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابي وقاص رجلا منهم بلحي بعير فشجه ، فكان اول دم اهرقه المسلمون من المشركين . وبسبب ذلك دخل الرسول مع اصحابه دار الارقم في الصفا –وهي معروفة الان بدار الخيزران – كان اشترى هذه الدار الخليفة ابو جعفر المنصور واعطاها ولده المهدي للخيزران ام ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد ، وسميت باسمها من ذلك التاريخ الى اليوم . فكان الرسول واصحابه يقيمون الصلاة فيها سراً الى ان نزل الامر بالدعوة الى الاسلام جهارا -- تعليق الملخص .



الناسك

◆

مـاذا بوسع الزمن المدّعي
ما دمت في شعري وفي أضلعي

ان يقطع الدهر لنـا ألفة
مهما يفرّقنـا الورى نجمع

نقول للناس اذا صيّحوا
مـا قاله البلبل للضفدع

*

شبابنـا ان يفن يبق الهوى
نفنى به كالخالق في المبدع

مـاذا على الحبّ اذا لم يفق
هل وعت الخمرة حتى نعي

رأيتني شيخاً مديد الرؤى
متّصل السالف بالمزمع

على فمي انشودة لا تني
ونغوة خضراء في مسمعي

أعيش في الذكرى بغيبوبة
كما يعيش الطفل في المرضع

طيور أحلامي وحي الهوى
من حوّم حولي ومن وقّع

ان تمحل الدنيا وتعبس لنا
فأيّ ارض فيك لم تمرع

غنمت في عينيك كنه المنى
فالكون يحيا بي ويفنى معي

الياس ابو شبكة

المسرح والاصلاح الاجتماعي

« لمحة من التقرير المرفوع الى وزارة المعارف السورية »

بقلم الممثل علي عبدو كنج

١ ـــ نشأة المسرح

ليس المسرح بحالته الحاضرة الا نتيجة لتطورات كثيرة وجهود جمة بذلتها البشرية منذ قديم الزمان . فالمسرح يتطور مع الحياة والفن المسرحي قابل للارتقاء بنسبة صاعدة كسائر الفنون جميعها ... عندما كان الانسان يعيش في الغاب ، وجمال الحياة طبيعي غير مجلوب ، ابتدع المسرح ومارس الفن المسرحي ، ولم يكن الفن المسرحي اذ ذاك الا جزءاً من حياة الافراد انفسهم فهو تمثيل طبيعي لحياة الانسان الابتدائي . كانت القبيلة تلتقي في مواسم معينة فتتحلق حلقات حلقات ويلبس كل واحد من افرادها ملابس مزركشة فيضع على جسده اوراقاً من الشجر يتزين بها او يرسم عليها بعض النقوش والصور ثم يبدأ الرقص والعزف والانشاد التقليدي في حركات ونشوة عامة . فهذه المواسم التي تجتمع فيها القبيلة لترقص رقصاً اجماعياً وتنشد وتعزف تشبه الان حفلات (الابريت) التي تقام في جميع بلدان العالم المتمدن وهي مزيج من الرقص والغناء . وقد كان المسرح (مسرح الغــابة) فسحة من الارض تجتمع فيها القبيلة وتظهر فيه عبقريتها الفنية . فمن اجل المسرح كانت القبيلة تمارس سائر الفنون فنشأ التصوير من اجل المسرح ، اذ اضطرت القبيلة الى ان تزين الملابس وتحفر النقوش وتستخدم الدروع المزخرفة ، الى ما هنالك من استعدادات يتطلبها العمل حين ذلك . ومن اجل المسرح نشأ الغناء والموسيقى ونشأ الرقص الاجماعي . وعند ما اخذ كل فن يستقل عن الفنون الاخرى ظل المسرح محتفظاً بكيانه واخذت تتحد من اجله غايات لم تكن تعرف من قبل . وبعد ان كان المسرح مكاناً تلتقي عنده سائر الفنون اصبح هناك فن مسرحي له قواعد واهداف . ثم نشأ الفن المسرحي فيما بعد في حضن الكنيسة اذ اخذ الرهبان يمثلون روايات مقتبسة عن الكتاب المقدس ، وكانت الغاية من تقديمها توجيه الناس الى حالة يقصد منها التأثير الروحاني والاجتماعي . وهكذا كان المسرح في بادئ الامر عبارة عن طقوس دينية هدفها استمطار رضا الالهة على القبيلة فانقلب الى فن قائم بذاته تقصد فيه حياة فنية خصبة . حدث هذا التطور في زمن النهضة الاغريقية . فقد نشأ اذ ذاك مسرحيون موهوبون اخذوا الاساطير التي كانت تتداولها الالسن وصبوها في قوالب من الفن المسرحي والحوار اللذيذ .

٢ - المسرح وتأثيره على المجتمع

تطور المسرح بعد ذلك مع الحياة المسرحية الاجتماعية في القرن السابع عشر على يد « موليير » في ملاهيه اللاذعة Comédies وقد كان موليير مصلحاً اجتماعياً يريد ان يقيم الحياة الاجتماعية على دعائم من الخير والمحبة والاستقامة كما نرى ان غاية المأساة Tragédies عند « كورناي » و « راسين » هي اجتماعية ايضاً فبينما يجد كورناي البطولة ترى راسين يجعل من الحب مثلا اعلى ويريد ان ترتفع هذه العاطفة بالمرء حتى تجعل منه انسانا ممتازاً محباً للخير والحقيقة . المسرح اذاً لم يعد مجرد الهية فنية بل اصبح يتفاعل مع المجتمع واصبح الكاتب المسرحي يتحرى دوماً ان تأتي العظة الاجتماعية على افواه ابطال المسرحية عفواً ودون تكلف .

٣ ـــ المسرحية والادب

احتلت المسرحية مكاناً ممتازاً في عالم الادب منذ القديم واذا كان هذا النوع من الانتاج الادبي لم يعرفه العرب بمعناه الواضح الصريح الا في مطلع هذا القرن — قرن العشرين — وبصورة ابتدائية فقد عرفه « الاغريق » قبل الميلاد بعدة قرون في مسرحياتهم الجميلة على يد « سوفوكلس » « واسخيلوس » وغيرهما ثم اخذ هذا الفن الادبي منذ القرن السابع عشر يحتل مكانة كبرى في فرنسا وانكلترا فظهرت المسرحية الشعرية على يد « شكسبير » ثم على يد المسرحيين الافرنسيين ، واصبحت المسرحية فناً يحرك المشاعر ويثير اهتمام

المشاهد ويجعله يشعر كأنه لا يسمع حواراً كالذي يسمعه في الحياة العادية وانما قام فن يتطلب ارسال الكلام بصورة لا يملها السامع ويمجها وهذا ما نسميه بفن الكتابة المسرحية .

وقد ارتقت المسرحية الادبية في القرن العشرين ارتقاء عظيماً واصبح الكاتب المسرحي لا يتحرى من وراء الكتابة المسرحية ان تمثل على مسرح ما ، بل هو يكتب لمن يقرأ ويفكر ويتأمل . فنشأت المسرحية الرمزية التي تتحرى حقائق الحياة الفلسفية .

وهكذا اخذت ايضاً المسرحية العربية تحتل مكاناً لها في عالم الادب ولكن الجهود التي بذلت كانت ابتدائية فلم تثمر ادباً جيداً الا في العشرين سنة الاخيرة عندما نشر الكتاب المصريون امثال انطون يزبك ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم مسرحياتهم البارعة التأليف وهكذا قل عن سوريا حيث ظهرت مسرحيات للاستاذ معروف الارناؤوط لم يكتب لها الظهور على مسارح دمشق لفقدان الممكنات الفنية .

٤ ـ المسرح في الشرق العربي

ان لبنان هو اول قطر عربي جاوب رسالة المدنية الغربية واول من تعرف الى هذا الفن لبنان . وتاريخ فن التمثيل في لبنان هو تاريخ محاولة كتابة المسرحية باللغة العربية وهو تاريخ قريب العهد يعز بين ثناياه اسم (مارون نقاش) كاول مغامر خطر له ان يعتلي المسرح ممثلًا روايات غربية بعد ان عربها وتصرف فيها بما يلائم الذوق العربي وقد مثل في عام ١٨٤٨ الرواية الاولى وهي البخيل في داره في بيروت .

الا ان جهود « النقاش » لم تلبث ان ذوت بموته وهو في ريعان الشباب فاختفت فرقته باختفائه ولكن فكرة المسرح لم تمت فقام من ابناء لبنان من سار في طريق النقاش ، وهو اديب اسحاق فعرب رواية اندروماك ثم رواية الظلام وعائدة وغيرهما من الروايات ولكن الظروف لم تسمح لهذه الحركة بان تأخذ المدى الذي اخذته حركة النقاش . لقد كان الفن المسرحي في سوريا اذ ذاك شيئاً جديداً وفي مثل هذه البيئة المحافظة التي ترزح تحت احمال من التقاليد والعادات ، كان يعد التمثيل بدعة من البدع ولذا اتجهت انظار الممثلين وادباء المسرح من سوريين ولبنانيين الى مصر ، وهي اذ ذاك في ابان النهضة الفكرية والاجتماعية التي اذكاها « الخديوي اسماعيل » وقد تنبه الى ما لفن التمثيل من اثر في الامم فأنشأ داراً فخمة هي دار « الاوبرا » على غرار اكبر المسارح الاوروبية وجعل افتتاحها مقروناً بافتتاح قناة السويس واليه يرجع الفضل الاول في ارسال اول بعثة فنية لباريس لدراسة التمثيل ، كان فيها الاستاذ جورج ابيض (اللبناني المولد) الذي بعد دراسته وعودته الى مصر ادخل نوع التراجيدي النوع غير المعروف بعد في مصر ، فمثل روايات شكسبير الخالدة التي ظلت مقرونة باسمه حتى الآن .

والحادث الذي سطره تاريخ النهضة التمثيلية في الشرق العربي بمداد من الفخر هو تاريخ مؤسس المسرح الغنائي في الشرق العربي والذي اليه يعزى اكبر فضل في تأسيس المسرح في مصر وهو المرحوم ابو خليل القباني اذ قام هذا الدمشقي بوضع الروايات العربية التي يتخللها نوع من الرقص – رقص الجماعة – ابدعه هذا المغامر الجديد ابداعاً موفقاً والروايات التي وضعها هذا الاديب والشاعر ومثل فيها تختلف عن روايات مارون النقاش ، اذ ان موضوعاتها مقتبسة عما ورد في التاريخ العربي او الاساطير العربية و كتاب الف ليلة وليلة ولذا تعتبر عربية قومية . وان الملاحظ فيها هو الاسلوب الذي نهجه المرحوم القباني بان دمج الحوار بالغناء وجعل الرقص عنصراً هاماً في هيكل الرواية . وخلاصة القول ان المسرحية الغنائية « اوجدها القباني » لخبرته الموسيقية وبراعته في الايقاع ، وان لم يكن صاحب صوت جميل . وكان يقدم رواياته في مكان معروف من اهالي دمشق باسم « خان الجمرك » حيث اخرج فيه اروع وابدع ما كتبه ووضعه . ومن رواياته هارون الرشيد والولادة ، عنترة ابن شداد ، السلطان حسن ، عفيفه ، الامير علي وغيرها من الروايات المشهورة التي تحمل اسمه حتى الان . الا انه لاقى من اهالي دمشق الذين لم يألفوا بعد « الفن المسرحي » معارضة عنيفة اضطر معها الى الهجرة الى مصر التي استقبلته احسن استقبال ورحبت به كما رحبت بالكثيرين من غواة المسرح الذين لهم من شهرتهم الفنية ما تفتخر بهم البلاد السورية واللبنانية . ولما شاهد اهالي مصر روايات القباني اقبلوا عليها باعجاب كبير (لا سيما الفنانين امثال الشيخ سلامه حجازي الذي رحب به ودرس عنه الكثير من التواشيح وعلم الضروب) وقد شجعه ذلك على السفر الى اميركا حيث قدم اجمل رواياته وابدعها . وهو يعد بحق اول رسول سوري للثقافة الفنية المسرحية الغنائية في البلاد العربية واليه يعزى كثير من الفضل في تأسيس المسرح المصري .

علي حيدر كنج ـ دمشق

غرفة الاستقبال ...

بقلم سهيل ادريس

★

... ونهض «فتحي» عن هذه الطاولة ، رصفت عليها الكتب رصفا ، وكدست المعاجم تكديساً ، وانه لملول حائر ، يستشعر روحاً من الهدوء ، وطرفاً من الطمأنينة ، فلا يتأتى له ذلك ..

ان هذه الكتب في الحق ، قد اغرقته في لجة عميقة ، كم ودّ ان يجوز حواجزها ، وان ينعتق من قيودها ، فيعترض ودهاءه ران : أبٌ يلح عليه ان يجد ويجهد ليبلغ من العلم كنهه ، ووازع من نفسه يحفزه لنيل الشهادات والكفاءات تفسح له في آفاق الشهرة ، وتشق له في طريق المجد .. انه متعطش الى تلك المناصب الرفيعة تبتهل اليها النفوس ، وتتملاها الاعين ، وتتداولها الاعناق .. انها المناصب معقد الرجاء ، ومناط الاماني ! .. ومع ذلك ، فانه يشعر انه يحمل نفسه من الجد مالا قبل له به ، ويتكلف لها ماليس في طوقها من الامعان في الاستقصاء ، والغلو في التبحر .. هذا مع انه كان يحس في ذلك كله نشوة العامل يجد في عمله ، وراحة المؤمل يطامن الزمن لآماله ويذلل .

نهض « فتحي » عن هذه الطاولة يبتغي لنفسه بعض التفريج .. وما تفريجه ؟ . تطواف في غرف المنزل ، ينحني على امه في غرفتها فيتجاذبان طرفاً من الحديث ، ويعرج على غرفة مكتبته ، فيقلب بعض الكتب ، ويتصفح بعض العناوين ، ثم هي بعد ذلك مكثة على الشرفة ، يميل طرفه في الحديقة حيناً ، وفي الطريق حيناً آخر ..

ولا خفاء في انه يصيب في هذه المكثة القصيرة من الامن والهدوء ما لا يشعر له بوجود في اي مكان آخر ، ذلك انه حين يطالع السماء الزرقاء صافية حالمة ، تنبهر حواسه ، فيشعر بهذه الزرقة الحية الصافية تنساب رويداً رويداً الى صدره ، ثم تتسلل الى فؤاده انواراً شفة حلوة ، تنير الروح فتحبره ، وتشرق على النفس فتبتهج لها بهجة رقيقة حالمة !

ذلك كان دأبه منذ ان حاز على شهادة « الكفاءة » في السنة الماضية . واما في صيف تلك السنة فانه انكب على مطالعة الروايات وتلاوة القصص ، وانغمر في تلك الرياض المتلونة فكثرت احلامه ، وانبجست آماله نبعاً فياضاً على حفافي فؤاده .. كان يرى دواماً شارداً حالماً ، ذاهل العينين ، مترثب الروح كأنما ينتظر ان تتهافت عليه السعود فتبوئه من هذه الحياة الدنيا ، درجة رفيعة ، وذروة سامية ..

ولعل اقاصيص « الف ليلة وليلة » هي التي خلقت له هذا الجو المؤرج يفوح بالامال عطراً مذاباً ، ويفيض بالاحلام شوقاً وهياماً ...

كانت مخيلته تصور له النعيم اول الامر روضة غناء تموج بالناس السعداء لا يحسون الماً ولا هما ، يزجون الساعات في لهو مستمر ، وفرح متواصل .. ثم جعلت تلك الاقاصيص من الف ليلة وليلة تتمثل على مخيلته تمثل له الابطال ينتظرون ان تطلع عليهم الحور لتحملهم الى جنان الحب والهوى . وكم لذّ له ان يستعيد في خاطره رسم بطل القصة عائداً من تلك المغامرة الى داره .. حتى اذا بلغه جاس قليلاً ليستجم .. وفي تلك الاثناء يراوده الشوق والحنين ، فيتمنى ان تمثل فتاة جميلة بين يديه ليتذوق على شفاهها خمرة النعيم ولذة الخلود ..

وما يلبث حتى يطالع وجه فتاة لعوب مراح ، هي من الجمال على ما ودّ ، ومن الفتنة على ما اشتهى .. ويتقارب البطلان ، فيستغرقان في عناق طويل لا ينفصلان منه « قبل ان يطلع الصباح ، ويسكت العشاق عن الكلام المباح » ! . هنا كانت تنتهي كل قصة من قصص « الف وليلة » .. وكم ودّ فتحي الا تنتهي عند هذا الحد .. ذلك انه كان يحس احساساً عميقاً بانه هو نفسه بطل هذه الاقاصيص ، فكان لا يقنع بهذا الجزء من النعيم .. كان يصبو الى ابعد من ذلك !! . كل هذه الالوان من الاحاسيس والتصورات كانت تتراءى على ذهن فتحي حين كان جالساً الى طاولة يراجع دروسه ويستظهرها لليوم التالي وكانت تتتابع عليه كاللمع ، يومض لحظة ثم يخفيه سطر من الكتاب ...

حتى اذا احس فتحي انه سلخ وقتاً طويلاً في القراءة نهض على مهل ، وانصرف عن الدرس ، الى بعض الترويح عن النفس وخرج من غرفته فاذا هو في « داره » .. وعرّج لحظة على غرفة والدته فتكلما هنيهة ، ثم خرج ثانية الى الدار ، فعاين من « واجهتها » السماء زرقاء صافية تبعث في النفس حلماً لذاً .. ومشى قليلاً ، فاذا هو امام غرفة الاستقبال .. وكان كثيراً ما يعجب ان يلفي باب هذه الغرفة مغلقاً كلما ألمّ به .. ولكنه مع

ذلك كان يسر كان يحب ان يراه مغلقاً ، لانه كان يشعر « بشيء » جديد يعروه حين يفتحه ، وينظر الى داخل الغرفة ٠٠ كان يحس ان نفحة محملة بالامل مثقلة بالرجاء تتحايل حتى تتسرب الى قلبه ٠٠ ولكنه كان حين يلج الغرفة ، ويطوف نظره بها ، يتراجع رويداً رويداً ، فيخرج منها ويغلق خلفه الباب ، وقد عراه بعض الاسى ٠٠ كان يود ان تقع عينه على « شيء » جديد فيها ، « شيء » جميل حي يمكن ان يملأ النفس ، ويبهج العين ، ويجبر الروح ! ويعود فتحي الى طاولته حسير النفس ، فيجلس على الكرسي ، ويستعيد درسه ومطالعته ٠٠ ومضى عليه في تلك الحال ما يقرب من ستة اشهر ، لا تحدثه نفسه ان يلتمس خارج داره سلواناً او ترويحاً ، ولا تزين له مغريات الدنيا ان يمد احلامه الى خارج داره ٠٠ كان يوقن ان الركون الى البيت خير تفريج ، واشفى عزاء ٠٠ ذلك كان ظنه ٠ ولا شك في انه لم يكن ليكون كذلك لو ان اهله مكنوه من التحرر من جذران هذه الدار ، او اتاحوا له ان يلقى غيرهم ! واياً ما كان ، فقد ارتضى تلك الحياة لانه تعودها ، وترعرعت آماله وافكاره بين جدرانها ، ونمت احلامه في زواياها ٠ وكان فتحي يحس ان حنينه يشتد يوماً عن يوم ، وان شوقه يشب ساعة اثر ساعة ٠٠ وكان حين ينهض كل يوم عن طاولته ، ينهض مفعم النفس بشعور الحنين ، الى « شيء » جديد ٠٠ مترع الفؤاد باحساس الشوق الى جمال يبهر حواسه ، ويخدر اعصابه فيفنى فيه وله ٠٠ وبلغت الاحاسيس من نفسه يوماً انه نهض على رود ، وسار الى غرفة الاستقبال كأنه لا يعي ٠٠ وقبل ان يبلغ بابها راودت فكره صورة فتاة جميلة ٠٠ فانساق على طوع منه ، واذا هو امام الباب ٠٠ وكان مغلقاً ٠٠ وكم انشرحت نفسه لهذا ٠٠ كاد يود الا يسارع في الوقوف عن هذا السر يجذبه الى هذه الغرفة ، كان يروم ان يجد ويجهد لمعرفته واذ ذاك يطيب نفساً بالتمتع به ٠٠ وكان يظن ان في كون هذا الباب مغلقاً بعض هذا الجد والجهد ! ٠ واقتربت يده من القفل ، ففتحته ٠ واذا نفحة عاطرة تنبعث اليه من هذه الغرفة فتستثني حواسه ، وتوقظ مشاعره ٠٠ واحس بغشاوة على عينيه اخذت تخيل له ان في هذه الغرفة فتاة جميلة ٠٠ ولعلها تكون جالسة على احد هذه المقاعد الفخمة واضعة تحت مرفقها هذه الوسادة البيضاء ٠٠ واجال فتحي نظره في الغرفة ، وخرج وقد تعاوره بعض الاسى والخيبة ، على ان نفسه مع ذلك لم تشأ ان تظن بان ذلك كله انما هو اضغاث احلام ٠٠ ذلك انه في اليوم التالي ، خطرت بباله صورة فتاة جميلة يتدفق من عينيها سحر هائم حالم ، رقيقة الشفاه ، بضة الجسد ، فارعة الجمال ٠ ونهض عن هذه الطاولة الكريهة ، فقادته قدماه الى غرفة الاستقبال ٠٠ وكانت الاحاسيس تتكاثف على ذهنه فتخدر حواسه ٠٠ وكان باب الغرفة مغلقاً ، فأحس بانه يفتحه على مهل ، ونظر ، فاذا هو يطالع على احد المقاعد وجه فتاة ٠٠ وكانت من الجمال على ما ود ، ومن الفتنة على ما اشتهى ٠٠ وتقدم خطوتين ، فرآها تبتسم ، او احس ان يراها تبتسم ، ودنا من المقعد ، وانتحى الى جانبها مكاناً ٠٠ ثم امتدت ذراعاه على هينة ، واحاطتا بعنقها ٠٠ وجذبها فتحي الى صدره ، فأحس بلدونة جسدها ، وبضاضة اعضائها ، ورقة ملمسها ٠٠ وكان عظيم الفرح ٠٠ كان من السرور بحيث انه لم يستطع ان ينبس بكلمة ، او ينغم بحرف ٠٠ كان بوده قبل كل شيء ان يحتفظ بها بين ذراعيه ردحاً من الزمن حتى اذا مضى عليه وقت طويل ، التفت اليها وجعل يبثها لواعج فؤاده وحنين روحه ، وجعلا يتكاشفان الهوى الى « ان يطلع الصباح ، ويسكت العشاق عن الكلام المباح » ٠ ومكث صدره الى صدرها طويلاً ٠٠ وانه لفي هذه الغمرة ، اذ بالباب يشق ، فبصر بوالدته على العتبة ، واحس بان نفحة من الحرارة تنبعث من خديه خفراً واستحياء ٠٠ وشعر بان ذراعيه تسقطان عن عنق الفتاة ، وبانه ينهض متمهلاً ، ويتقدم من الباب خطوتين ، ثم تفتر شفتاه فيقول بصوت فيه ضراعة وتذلل : اماه ٠٠ انني احبها ٠٠ اعبدها فلا يثنني عن هذه الحب احد ، لقد تنظرت مجيئها وقتاً طويلاً ، حتى تحققت امنيتي فلقيتها ٠٠ انها اجمل ٠٠ ورفع فتحي نظره الى امه ، فاذا على وجهها العجب واذا في عينيها الاستغراب ولكنه استأنف يقول : اجل كنت اتوقع ان تعجبوا وتستغربوا لهذا الامر ٠٠ ولكن هو الواقع ٠٠ هي الحقيقة انني احبها حتى العبادة ٠٠ انها « شهر زادي » اجمل فتاة ، وانا لا اخشى ان اجاهركم بالحقيقة ! اماه ٠٠ ارحمي حبي ٠٠ ارحمي قلبي ٠ فلا ٠٠ وعاد فاتحي بصره الى امه ، فاذا هي جاحظة العينين من العجب والاستغراب ، ورآها تتقدم منه على عجل ، ثم تهزه هزة عنيفة وهي تقول له : ولكن ٠٠ من تعني يا فتحي ؟ عمن تتكلم ؟ ٠ فأغضى الفتى بصره ، ولبث هنيهة ، ثم همس بصوت خفي : عن هذه الفتاة الجالسة على المقعد وراني ٠٠ بالله عليك يا امي ٠٠٠ انظري الى هذا الجمال الساحر المتدفق ٠٠ اماه ارحمي حبنا ٠٠ انها هي ايضاً تهواني ٠٠ ونظرت الام فازدادت استغراباً ، واستطاع فتحي ان يكبت من سروره ، ويحد من حيائه حين التفت الى ورائه والبسمة تكسو محياه ، ونظر ، وامعن في النظر ٠٠٠ انها الوسادة البيضاء !

سهيل ادريس

الصورة القديمة

◆

وجدت هذا الصباح صورة لك قديمة منسية في كتاب. كان وجهك باون الذكريات القديمة وكنت تنظرين الي بعينين مغرورقتين بالدموع ...

اذ لما كانت يدي في يدك رأيت زهرات الياسمين الابيض تسقط في الماء ...

لاني نشقت نفسك ...

لاني احب صوتك الرائق الذي كان يواسيني كتلك القبلة التي تعطى عند الافتراق .

لاني احب نظرك الذي كان يغلفني باشعة سحرية .

لاني احب صوتك الذي كان يشني كآبته ... فيه كان قلبي المضطرب يستكن ويزخر بنغم شجي تسكر منه الصبايا كغناء العندليب .

أيقدر المرء ان لا يحب مصدر عذابه ؟

حين افكر في جسدك المتاوج تسقي الدموع خدي، وانا ذاك الولد الذي فقد مطوقته الاليفة .

فها انا ذا افكر في صوتك وهو اعذب من لهـاث الصباح في الازهار .

ها أنذا افكر في شعرك كتلك الغيوم الخفيفة تسحب عليها الشمس هنيهة اشعتها في الغسق .

ها أنذا افكر في عطر جسدك مغريا حتى الالم ..

ها أنذا افكر في قبلتك الرطبة حين كان فمك يقع على فمي فيتسـاون في صدري تلوناً يفوق حد الوصف كسيل بهيج ولكنه مقطع بالدموع .

*

فيم لست الريح ، اذن لكنت حففت رداءك في ليالي الشتاء الطويلة .. وربما كنت ارتعشت وانت تبسمين .

فيم لست أشعة القمر !

أتذكرين مساء اول لقاء لنا ؟

كانت السماء تمطر بهدوء ... فشككت هنيهة في ان اراك تأتين ... وفكرت في عزلة الذين يتألمون ...

فكرت في نفسي ، ثم فكرت في المساكين الذين يتلمسون الجدران ليتقوا البرد .

ولكن الاشجار كانت ترتجف من الغبطة كقلب صبية ، وفي تلك الاونة ربما كان على مقربة ولد يشرف على الموت ...

كنت افكر في الاشجار ...

والعن الزمن حين رأيت عن بعد في النهار المحتضر خيالا ولكن هذا الخيال لم يكن لسوء الحظ سوى خادمتك الصغيرة.

فانقبض قلبي ، ولعنت المساكين والاوراق .

قالت :

« ان سيدتي تنتظر على باب الحديقة ريثما يطفىء الليل جميع الاوراد .

فباركت عندئذ الزمن ... وارتجف قلبي كالاشجار ..

*

ساعات ماضية ، مضمحلة ، شقية وثمينة .

اين انت في هذه الساعة ايتها الحبيبة الصغيرة الحنون ؟

لئن وجب علي ان اختار امنية لهذا النهار لرغبت ان اعرف ماذا حل بك .

لقـد جلت اليوم بالقرب من بابك ونظرت طويلا الى نافذة الغرفة التي كنت فيها تفكرين بنا من غير ان تعلمي ان ظل وجهك يحجب من العابر الحالم كل ماضيه .

احمد راسم — السويس

بين العلم والادب

بقلم السيدة وداد سكاكيني

ما احسن العلم والادب بمدلوليهما الحديثين اذا ائتلفا وتعاونا على الخير للانسان وتوجيهه للمثل الاعلى ! فكلاهما لا مندوحة عنه لحضارة المادة والروح ، بل ان العلم من غير ادب كالارض المنبتة اليباب لا صادح فيها ولا نبات .

يقول النقادون عن بواكير الانسان ان اول اثر ثقافي للامم كان الادب ، فقد ولدت مشاعرهم في عهد البداوة والسذاجة انغام الموسيقى والانشاد ثم نسقوا بسائق الفطرة تناغيمهم بالكلام الموزون المقفى فمرحوا على ترديده ولعبوا ورقصوا ، وعلى تطاول الامد وتراخي الاحقاب انفصل الشعر عن اللحون فكانت القصائد والمقطوعات .

في ذلك الدهر السحيق كان العلم جنيناً لم يفتح عينيه على النور فوجد الانسان في الادب جماحاً لفكره ومراحاً لنفسه لان الادب كان بادي الرأي سهلاً قريباً ، قبل ان تكون مهمته نقد الحياة وتصوير الطبائع وتبيان الجمال ، لقد كان بتلك السهولة سائغاً مستطاباً فأحب الادب كثيرون ، واقبل هواته ورعاته على فنونه ومجالسه فراجت سوقه اي رواج وكيف لا تروج وفيه من البهجة واللذة والنعومة ما ينسي الهموم ويهدهد الآلام ومن خلال منثوره ومنظومه تلوح للناظرين فيه مفاتن الدنيا وبدائع الوجود ، ولما امتدت حضارة العرب وازدهر فتحهم ازداد التهافت على مناهل الادب وجال اهاوه كل مجال في شعابه الشجراء وآفاقه الغناء فأودعوا صوره وبيانه كل طرفة بديعة وخطبة بليغة ومثل مأثور وقصص لطيفة ، اما الشعر فكان محك القرائح والخواطر ووسيلة القربى والنوال من الملوك والامراء ، وحين نجم فيهم العلماء على هامش القرآن الكريم والحديث الشريف اخذوا بالتضلع من الفقه والتفسير واللغة ، وكان هؤلاء العلماء من لحمة الادباء وائمتهم ، فكان حتماً لزاماً على بحوث العلم ان تشوبها نوادر الادب وطرائفه ، لان الفة العرب للشعر والانباء المروية ما زالت متغلغلة في طبائعهم راسخة في نفوسهم ، فكان الادب الصرف ثقيل الوقع عليهم باعثاً لسآمتهم حتى بعد ان انبسطت آفاقهم وتجددت حياتهم وتمازجت ثقافتهم بثقافة الاعاجم واليونان والرومان وهذا ما اشار اليه الجاحظ في كتابه « الحيوان » الذي مزج فيه الجد بالهزل والادب بالعلم فقال : « وكتابي يشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه المجد ذو الحزم » وقد كان ابو عثمان يعمد الى الحيات فيقطع رؤوسها والى العقارب فيجري عليها تجارب التحقيق العلمي ثم تعرض له نكتة او نادرة بصدد بحثه وتجاربه فيرويها مطبوعة باسلوبه الادبي المرواح ليسري عن قارئه عنت الفكر وشغل البال ، وكأن تناول الجاحظ وانداده كل صنف من اصناف الثقافة في عصور العرب الزاهرة ، وتآليفهم اشتات الكتب كانا من خصائص الكتاب الافذاذ ، فالاحاطة بطائفة من العلوم العقلية والمادية امر لا مناص منه لمن شاء ان يكون من العلماء الاعلام واي واحد من هؤلاء لم تكن له مشاركة في الادب ؟ هذا الادب الذي بسط سلطانه منذ القديم على كل ذي علم وفلسفة فما استطاع ان يختص بما امن في درسه وبحثه عن ميل اليه دون المساهمة في سواه ، فالرئيس ابن سينا حين كتب عن النفس ونقب في اغوارها وخفاياها لم يسعفه غير الادب في تصور النفس وتصويرها فنظم عينيته المشهورة التي قال فيها :

هبطت اليك من المكان الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

ولم يكن الجمع بين العلم والادب دأب العلماء العرب فحسب ، فمن قبلهم اريسطو شيخ فلاسفة الاغريق وواضع علم الاخلاق كان ذا فن وفلسفة ، وفيثاغورس واقليدس كانا رياضيين ولهما مناقب ادبية ، ومثلهم كثير في العصور القديمة عند الشرقيين والغربيين ، وقد بقي هذا الجمع ديدن المثقفين حتى ذر القرن الحاضر الذي تبدلت فيه الثقافة اوجهاً ومذاهب وتبسطت آفاقاً ووسائل ، وصار من ابرز مزاياها

الاختصاص بناحية منها، والتبريز فيها لا الاحاطة بكل نواحيها احاطة شاملة كاملة . وحجة الاختصاص ان الانسان قد يقف حياته ويرهقها في التمرس بفرع واحد من فروع الثقافة دون ان يبرع فيه او ينبغ فكيف اذا مارس فرعين او اكثر ؟ وهذه الظاهرة الجديدة صدت المتطفلين عن سبل طالما اقتحموها وضلوا فيها واضلوا ، وقد افضى شيوع الاختصاص لدى المتخصصين بعلم ما الى الاستقراء الذاتي والاستقصاء الدقيق ، وهكذا انفصل العلم عن الادب بعد ان اتصلا طويلًا فصار من العلماء الاطباء من اختص بمرض العيون فحسب لا يعلم في بدن الانسان مواقع الداء ، وغدا في « الجيولوجيين » من درس طبقات الارض وبحث حياتها منذ خلقها الله الى يومنا هذا فعنده علم باطوار التراب وتقلباته وسجل الرمال وذراتها ومجاثم الجبال وهاماتها ولو سألته عن نجم القطب لما عرف مكانه وبات من الرياضيين من يجهل موقع ليزبون او غرناطة ، ولا غضاضة عليه في هذا الجهل ما دام الاختصاص يشفع له احيانا عند بعض الناس ، وها هنا يبدو الادب وضاح المعالم منطلق الافاق بعيد الاغوار الى جنب الاختصاص العلمي الذي يظهر كامداً محدوداً ، ولقد تطورت ثقافة الاديب منذ شاع الاختصاص فصار لا يتيسر الابداع والبراعة فيما يكتب ويذاع الا للموهوبين الاكفياء الذين احاطوا بابناء الفنون والموا ببعض العلوم التي تجدي عليهم وتواتي حاجتهم كعلم الاجتماع وعلم النفس فضلًا عن اداء المنتوج بلغة متقنة وبيان مستحب ، وما عاد يعد اديباً من ينظم الشعر وهو يجهل تاريخ بلاده وموقعها من خطط العالم ، ولو انصف الحاكمون لقالوا ان العلم احوج الى الادب من حاجة الادب الى العلم ، وكيف كان الحكم فان كثيراً من العلماء الذين ارهقتهم مشاغل المادة لا معدى لهم عن فنون الادب ، فرب رواية يشهد تمثيلها عالم اجهد عينيه في رؤية الجراثيم بالمجهر ترد الى بصره الكليل نقاوته وقوته وتعيد الى نفسه بهجة الحياة وبشاشتها ، وصوت ندي رخيم يسمع تلاحينه العالم بعد عكوفه على مختبره الطبيعي تنعش روحه وتنسيه عسارة البحث والتنقيب ، أرأيت ان العلم والادب صنوان لا ضدان وهما فصلهما الاختصاص فلا بد ان يتلاقيا لتنعيم الروح وترفيه الحياة ، ولو جف العلم من رياحين الادب لأقفرت رحابه وبدا كالشجرة العارية لا ورق فيها ولا ظل تحتها فما اعظم العالم الاديب الذي احله الله مقصورة لها كوتان يطل من احداهما على حدائق الادب ومن الثانية على مصانع العلم ! لا جرم ان امثال هذا العالم قليل جداً في الغابرين والحاضرين في الشرقيين والغربيين ، فالشخوص الذين اوتوا هذه البسطة في المواهب والمدارك جديرون بالخلود والتمجيد ، فقد تنازعهم العلم والادب حتى استقلا في دخائلهم واستقرا في ميولهم ، فاذا غاصوا على حقائق العلم طلعوا على العالم بلآلىء الاختراع ، واذا استهواهم الفن جالوا في رياضه الزاهرة فكان من قطوفهم الطرافة والابداع وليس على الله بمستنكر ان يجمع المواهب في الاقلين عدداً من العلماء الادباء وقد كان من حظ الشام في عهدها الحديث ان يكون فيها عالم نباتي طلعة واديب مطبوع هو الامير مصطفى الشهابي الذي سلخ شبابه في سيرة التعاشيب واخبار الشجر والثمر وسر الجذور والبذور وما يزال معجمه الزراعي بين يديه يقطع على صفحاته جنباً من الليل في التحقيق عن لفظة يسمي بها نباتاً او وصفاً ينعت به بقلًا ، على ان الامير قد جمع الى علمه ادب الطبع وبلاغة الاسلوب وفقه اللغة ولو جمعت مقالاته الادبية لكانت ذخيرة قيمة وغنية لادبنا الحديث . ومن اشهر العلماء الادباء في الديار المصرية في ايامنا الدكتور احمد زكي مترجم « لادام او كاميليا » فاذا كتب عن الجراثيم وصف فتكها بالاحياء او كان كلامه على الجمال ومعداتها عطف على الصحراء وقد اجرى قلمه البليغ في اسلوب عربي مبين . وكان من نصيب دولة الشعر على ضفاف النيل ان اعتزت بالمهندس علي محمود طه الذي جاء بمملكة هوميروس عازفا على قيثار الشعر في « ليالي الملاح التائه » ومن اطباء المصريين الادباء ابراهيم ناجي وابو شادي وقد نشرا شعرهما في دواوين . اما في لبنان فان خطيبه المفوه الدكتور نقولا فياض قد آثر مغاني القريض ومنازل امرىء القيس على سماعة الانباض وكشف الداء ، فهجر الطب منصرفا الى ادب المنابر والاذاعة ونجوى القلم ، وهناك الطبيب حبيب ثابت يعالج الصحة والجمال وهو في بهرة العلم فلا يجد نفسه بعيداً عن الادب ، فاذا خلا الى فنه دخل دنيا عشتروت ونظم الشعر في ملحمة الحب والفتون ، ولعل بين الطب والشعر نسبا عريقا فان كثيراً من الاطباء تستميلهم تهاويل الادب ، ارأيت ان العلم والادب صنوان منشودان وعنصران مفيدان على الرغم مما في بعض جناهما من خير وشر وان لكل منهما هواه ورواداً ، وعليهما تقوم ثقافة العصر وحضارته فلا غناء عنهما لتقويم الانسان ورفعته فالاول يعلم العقل ويسود الحياة والثاني يهذب النفس ويصقل الذوق والروح .

وداد سكاكيني — دمشق

أتنسى ؟

ليوسف الخال



يراودها التمنع والجفاء ،
وتلقاني ، ولقياها ازدراء ،

وتبسم لي وبسمتها تداعت
يكفنهـا من الذكرى بقاء ،

تشيح بوجهها عني وتغضي
مخافة ان يهم بها الحيـاء ،

تضنّ عليَّ بالنعمى وتنأى :
جحودٌ ، ام غنى ام كبرياء ؟

اتنسى يوم افرغت الاماني
يسربلها من الحسنى وفاء ،

ويوم حمات عن شفف صباحي
الى غدها وفي غدها مساء ؟

اتنسى ؟ كيف تنسى يوم كنا
وكان لها على صدري ارتماء ،

تتمتم لي لواعجهـا عناقاً ،
وتفلتني ادغدغ مـا اشاء ،

واغرق في الطيوب ولا نجاة ،
واشرد في المباح ولا نداء .

انا في امسها ذكر هني ،
يعيه ، اذا تناسته ، الرواء ،

ينشره الصباح ، فكل صوب
يهش به ، وتغمره السماء ،

ويهمسه العبير الى الاقاحي
فيسكر من نوافحه الهواء ،

وتحضنه مدى الآتي قواف
لها في كل قافلة حداء .

أتنسى ، ليت ينفعها التناسي ،
ولي انّى تلفتت اختبـاء :

يلملمني السواد من الليـالي ،
وينثرني على الكون الضياء .

انا احببتها ومعي رجائي ،
وامضي الان ينكرني الرجاء ،

تعللني بها الذكرى وحسبي
من الذكرى التعلل والعزاء .

٢٨ يناير ١٩٤١

يوسف الخال

أشهر المسرحيات

السلطانات الثلاث

ليس في كل ما اخرجته اقلام الكتاب المسرحيين في القرن الثامن عشر اجمل من مسرحية « السلطانات الثلاث » لشارل فافار (Favart) . واليكم موضوع هذه المسرحية بايجاز :

عندما بر السلطان سليمان الثاني الملقب بسليمان القانوني بوعده فاطلق الحرية للحظية الاسبانية الحسناء ألميرة قامت في ألقصر ضجة عظيمة بين السراري الحمساية الطامحات كاهن الى الحصول على عطف السلطان . وكان الآغا عثمان يحث مولاه على الاسراع في اختيار من يخلف الميرة في حرمه الخاص . قال :

— لقد اصبحت الحياة في القصر لا تطاق ، فبين السراري فتاة فرنسية فرفارة ، متكبرة ، تضحك من كل شيء ، ولا تخاف احداً .

فقال السلطان : اظنها روكسلان فهذه الفتاة ما زلت اراقبها منذ اكثر من يوم . انها لغريبة حقاً .

فقال الآغا : كأن انفها المشرئب يسخر من الحب

فقال السلطان : يجب كبح جماحها .

فقال الاغا : لقد اوشك ان يفرغ صبري ، فحين ازجرها تنطلق في الضحك والرقص .

واذ مثلت هذه الفتاة بين يدي السلطان اكدت له انها لا تبالي باحد ، فقال لها : الا يشوقك ان تحسني في عين سليمان ؟

فقالت على الفور : ابداً .

على ان السلطان لم يغضب لهذه الجسارة ، ومضت روكسلان في العبث به وراحت تطري بلادها . قالت :

— اما في فرنسا فلا يستنشق المرء الا الملذات والحرية والرخاء . وكل مواطن في فرنسا ملك في ظل ملك مواطن .

ولكي تقطع له الدليل على ذلك دعته الى مأدبة عشاء على الطراز الفرنسي دعت اليها ايضاً بضعاً من السراري بينهن دليا ذات الصوت الجميل وألميرة نفسها . وفي اثناء المأدبة بالغت في عبثها مبالغة اغضبت سليمان

السلطان سليمان القانوني (١٤٩٥ – ١٥٦٦)

وانتهرها صارخاً : احتجبي عن وجهي !

واصدر امره بان تدرج في عداد ادنى الاماء . ولكي يضاعف العقوبة خول لالميرة حق التصرف بها كيف تشاء . على انها لم تعبأ

به وانطلقت في الضحك هازئة ساخرة فامر السلطان الجميع بالخروج ، وبعد صمت مثقل بالوعيد والتهديد بدأ بينهما الحوار التالي :

سليمان : لو شئت ان استسلم لغضبي لجعلتك في حالة اقسى من الموت . ولكني ارحم ضعفك . فاحتقري نعمي ومجدي وعطني ... اتضحكين ؟ اذن تستحقين اقسى عقاب فقلبك ما كان الا للدناءة والخسة .

روكسلان : (بلهجة فخورة) انك لفي ضلال ايها السلطان ، فالقلب الدنيء هو القلب الذي يرزح تحت وطأة المصيبة . اما القلب الكبير فيعرف من اتضاعه بين مظاهر الابهة ومن طمأنينته وكبره في الشدة والضيق . (بلهجة مرحة) العالم ، ايها السلطان ، مهزلة ألهو فيها وادرس مختلف السخافات . فمظاهركم مساخر ، ومشاريعكم وخططكم العاب اطفال . وحين يرخى الستار على فصول هذه الكوميديا يصبح السلاطين والرعايا رفاقاً متساوين .

سليمان : اكملي ! اكملي ! واقضي على آخر ما بقي من راحم سيدك .

روكسلان : اجل ، انت سيدي ، فقد باعوني منك . ولكن هل اعطوك حقاً ما على قلبي ؟ كن على ثقة باني لا اخاف ، ومن لا يخاف ليس عبداً .

سليمان : روكسلان ! اتظنينني جلاداً قاسياً ؟ افهميني يا روكسلان تدركي ان سليمان لن يلجأ الى قوته وبطشه ليحصل على قلب ينفر منه . اذهبي ولا تخشي بأساً من حب تحتقرينه ، فانت حرة .

روكسلان : لا يبدو لي انك تقول ما تقول بلهجة الغضب (بغنج) تعال ، تعال . اني اغفر لك ... فانا طيبة القلب .

سليمان : ماذا تريدين ؟

روكسلان : اريد ان ارجع اليك رشدك واشفيك من ضعفك .

سليمان : من تكونين ؟ انك تجذبين قلبي وتردينني الى واجبي . من تكونين ؟

روكسلان : لست سوى صديقة لك .

سليمان : كوني دائماً تلك الصديقة . ولكن قلبك ... قلبك ... أأستطيع الحصول عليه ؟

روكسلان : ولكني لست حاقدة عليك بل على اسرافك في استعمال سلطانك .

وبقيت كذلك حتى افهمته ان لا حب بدون مساواة وانه اذا كان يريد ان يتخذها عشيقة له فليجعلها سلطانة . قالت : « لو ان حبيبي لا يملك الا كوخاً لشاطرته هذا الكوخ وآسيته في اشجانه وكنت له عزاء وعضداً ، ولرفضت لاجله اجمل تاج واعظم صولجان . ولكن حبيبي يملك عرشاً فاذا لم اشاطره اياه فلن يكون حبيبي . »

السلطانة روكسلان زوجة سليمان القانوني

فقال سليمان : « ولكن القوانين لا تجيز لي ذلك . » فقالت : « انا لا اعبأ بهذه القوانين . » فقال : « والوزراء ؟ » فقالت : « اطردهم . » فقال : « والشعب ؟ » فقالت : « لقد وفرت له سعادته فليوفر لك سعادتك . »

فلم يجد سليمان بداً من الانحناء امام هذه الحجة الصادرة عن قلب كبير فنادى اليه عثمان وقال له : « ابلغ الوزراء وابلغ رعاياي انني اتخذت روكسلان زوجة لي . »

هذا موضوع مسرحية فافار اوردناه بايجاز . والغريب في هذه القصة انها صحيحة . على ان روكسلان لم تكن فرنسية كما زعم



الشاعر فافار بل كانت روسية واسمها الحقيقي كوديم . فقد روي ان فتاتين روسيتين على جانب عظيم من الجمال قدمتا احداهما الى السلطان والاخرى الى أمه الوالدة . واذ وهبت هذه الاخيرة فتاتها لابنها ثارت غيرة روكسلان وقامت قيامتها حتى اضطرت السلطانة الوالدة الى استرجاع الفتاة وتزويجها من احد الضباط .

وبقيت روكسلان في القصر تراقب سياسته وتعاين ما يجري في الحريم . وكثيراً ما كانت شؤون الحريم تؤثر تأثيراً حاسماً في سياسة السلطان . واليكم هذه القصة الغريبة عن الداهية التي نزلت بالصدر الاعظم ابراهيم باشا . في العام ١٦٤١ ، اي بعد انقضاء قرن على الحادثة ، وضعت الانسة ده سكوديري قصة « ابراهيم » وزعمت فيها ان الصدر الاعظم كان جنوي المولد وانه بقي خلال العهد الذي ملك فيه زمام السلطة وفياً لحبه احدى فتيات بلاده وهي اميرة من موناكو . ويدور مدار القصة حول الدسائس التي كانت روكسلان تديرها في الخفاء للقضاء على نفوذ ابراهيم الذي كان متيماً بحب اميرة جنوية مثله تدعى ايزابيل غريمالدي كان السلطان قد وعده بتزويجه اياها .

والواقع ان ابراهيم لم يكن من نبلاء جنوى كما ادعت الانسة ده سكوديري بل كان من رعايا اليونان خطفه بعض القراصنة الترك وباعوه من احدى الارامل . وكان يجيد العزف على الكمان . وشاءت الصدف ان يسمع سليمان ، وكان بعد ولياً للعهد ، عزف الفتى ابراهيم فأخذ بجواذبه وقرّبه اليه ، ولما صعد الى العرش عينه رئيساً للحجاب . وبعد ثلاث سنوات ولاه منصب الصدارة العظمى . وما عتم الامر ان زوجه من شقيقته .

وكانت المودة بين السلطان ووزيره تتجاوز كل مودة ، فلم تكن مقتصرة على تناول الطعام معاً وقضاء السهرات وجهاً لوجه بل كانت تتعدى ذلك الى الرقاد معاً في غرفة واحدة . وقد يزول استغراب هذه المودة حين نعلم ان ابراهيم كان محدثاً على جانب كبير من الثقافة ويجيد فضلاً عن لغته اليونانية اللغات التركية والفارسية والايطالية ، وان السلطان كان مولعاً بالموسيقى والادب والشعر والتاريخ .

وبديهي ان تقلق هذه المودة روكسلان فتبذل كل مساعيها للقضاء على نفوذ ابراهيم . سوى ان الحظ العاثر شاء ان يتولى هو نفسه هذه المهمة . ففي اثناء غزو السلطان سليمان بلاد العجم جرؤ قائده الاعلى ابراهيم على اصدار امره باعدام الدفتر دار اسكندر الشلبي في احدى ساحات بغداد . فبدأت الوساوس تعمل عملها في رأس سليمان . وفي اليوم التالي حلم السلطان ان الدفتردار ظهر له محاطاً بهالة سماوية ووبّخه على خضوعه الاعمى لوزيره ، ورؤي له ان الدفتردار انقض عليه ليخنقه ، فاطلق صرخة وهب مذعوراً من فراشه . على ان هذا الحلم لم يمنع السلطان من ان يزور مع وزيره قبور بغداد وان يواصل الرقاد معه في غرفة واحدة .

محمود الثاني (١٧٨٥ - ١٨٣٩) نجل عبد الحميد الاول

ولكن في الخامس من شهر اذار ١٥٣٦ توجه ابراهيم كعادته الى القصر ليتناول العشاء مع السلطان وينام الى جانب سريره . وفي صباح اليوم التالي رؤي مخنوقاً .

واذا قلنا ان روكسلان زوجة سليمان القانوني ووالدة السلطان سليم ، لم تكن فرنسية بل كانت روسية فكثير من القراء يجهل ان فرنسا اعطت تركيا سلطانة بعد مرور مئتين وخمسين سنة على عهد سليمان .

ففي الربع الاخير من القرن الثامن عشر كان في المارتينيك نسيبتان تدعى احداهما جوزيفين تاشير ده لاباجيري ، وتدعى الاخرى ايمه دوبوك ده ريفري . وكانتا في نحو الثالثة عشرة من العمر حين تنبأت احدى العرافات لاحداهما جوزيفين بانها ستتزوج

رجلين احدهما اشقر والآخر اسمر وان الاسمر سيملأ العالم بمجده وينتهي امره في المنفى. وتنبأت للاخرى ريفري بان قرصاناً من الجزائر سيخطفونها وترزق ولداً يعظم شأنه في الدنيا .

وليس فينا من يجهل ماذا عمل زوج جوزيفين نابوليون بونابرت. اما ايمه ده ريفري فقد ارسلت الى اوربا لتنهي دروسها في احد اديرة نانت ، وذلك في العام ١٧٧٦ على ان حرب اميركا حالت دون عودتها الى المارتينيك .

ولم يقدر لها ترك نانت الا في العام ١٧٨٤ . سوى ان عاصفة هبت على المركب في خليج غسكونيا وقبل ان يغرق مرت باخرة اسبانية متجهة الى ماجوركة وانقذت ركابه . وما تم الامر ان مرت باخرة قرصان جزائرية فهاجمت الباخرة الاسبانية واسرت ركابها

واهدت الفتاة ايمه الى امير الجزائر بابا محمد . وبما ان بابا محمد كان طاعناً في السن فقد اهدى الاسيرة بدوره الى مولاه السلطان عبد الحميد الاول . وفي السنة التالية رزقت منه ولداً رقي العرش فيما بعد باسم السلطان محمود الثاني .

وكما رأينا السلطانة روكسلان تدير سياسة القصر في الخفاء رأينا السلطانة ايمه تدير سياسة تركيا في ساعة عصيبة من تاريخها .

ومن يتصفح تاريخ بني عثمان لا يعيى عن تلمس ذكاء ايمه الفرنسية في سياسة التقارب بين فرنسا وتركيا .

واليوم ، وقد مرَّ مئة وست وعشرون سنة على وفاة ايمه ، قد يجهل الكثيرون ان امبراطورة الفرنسيين كانت نسيبة لسلطانة الترك .

شرح الصورة العليا :

ايمه دوبوك ده ريفري ، سلطانة تركيا في عهد عبد الحميد الاول ووالدة السلطان محمود الثاني .

شرح الصورة السفلى :

سليم الثاني ، نجل سليمان وروكسلان ، وقد ارتقى سدة السلطنة في العام ١٥٦٦

رسالة الادب بعد الحرب

بقلم الدكتور نقولا فياض

●

عندما اعلنت الهدنة سنة ١٩١٨، وسكت المدفع عاد القلم الى تغريده ولكن اصابه شبه بحة ذهبت بالكثير من رونقه وجماله لان الحرب اخلفت تعباً عاماً لم ينحصر في الذين اشتركوا فيها بل تناولت القريب والبعيد ، فأثر ذلك في الكاتب والقارىء معاً وحادت بالادب عن قصد السبيل . لقد قلبت الحرب حياة الرجل المتمدن رأساً على عقب وبدلت حالات المعيشة من اكل وشرب ونوم وعمل ولهو ، وبعثت في الاعصاب هياجاً غريباً فصرنا اقل صبراً واكثر الحاحاً اشتياقاً لمعرفة ما يجري من الحوادث ، نتسقط الاخبار باللاسلكي فياتينا من هنا وهناك نبأ المجاعات والثورات والحروب الداخلية والزلازل وغير ذلك فضلاً عما يحيط بنا عن كثب من مصاعب الحياة اليومية وخوف المجاعة وتعدد السرقات والاعتداء، وما اصاب الكثيرين من الخسائر مباشرة في ثروتهم واسرتهم ومركزهم الاجتماعي . كل هذا خلق اضطراباً عصبياً لا عهد به من قبل فبدت اثاره في نتاج القرائح والعقول . وظهر بين الكتاب من اراد استثمار هذا القلق النفساني والمتاجرة به . فأقدموا على التأليف في موضوعات غريبة يريدون بها لفت الانظار وتغرير السذج من الناس في الاقبال عليها .

ولم يقو القارىء على مقاومة هذا التيار المتدفق عليه من المؤلفات الضارة بل اصبح يستطيب ما كان ينفر منه لما ألمّ به من التعب في الاخلاق والافكار . فكانت الروايات القصصية والتمثيلية لا تدور الا على موضوع واحد كأنه لم يبق في العالم سوى فساد واجرام . وكأن الحرب خلقت استعداداً جديداً وميلاً لتذوق كل ما هو مكروه وفظيع فلم يبق للفن الا ان يكون ستاراً لهذا اللون الجديد من بعث الشهوات والاستسلام لكل ما خرج عن نظام الطبيعة ، وصار الكاتب يتلذذ بالامعان في الغرابة دون الاهتمام برأي الاكثرية المفكرة فيغمس قلمه في الاقذار ولا يبحث في الطبيعة الا عن العيوب والبشاعة وهو على يقين انه يرضي القارىء الذي اصبح متعطشاً الى كل احساس غريب .

تلك حالة بسيكولوجية لا دخل فيها للصحة والمرض رأى فيها الفنان متسعاً للسير في طريق معوج ، مستسلماً الى سكرات الحب والالم والدم ، منصرفاً عن الذوق والآداب قانعاً بما يمر في رأسه من ظلال او نزعة يرسمها على الورق وليس فيها اثر للجمال او القوة .

ولهذا لا نجد في اكثر الكتب التي نشرت بعد الحرب الا علائم اليأس والملل والسوداء كما ان اكثر الكتاب لم يكونوا يستوحون في كتاباتهم غير اهواء الجمهور ليفوزوا برضاهم . اما الفنان الصحيح الخليق بهذا الاسم فبقي مجهولا يدوسه المنافسون الذين لا يملكون جزءاً من احساسه وتفكيره . لقد قام ادب ما بعد الحرب على تمجيد الانانية وتأليه الاثم والدعارة والفساد ، وربما كان شيء من هذا قبل الحرب ولكن عذاب سنوات فتح الباب على مصراعيه وأرخى العنان للشهوات فصارت الحبة قبة وتحول الوشل الى بحر .

وفي ظلمة هذا الهذيان الثائر كان يسطع حيناً بعد حين فكرة سامية نبيلة كأنها من طلائع الردة التي يتمخض بها الغد في وجه هذا التيار الجارف المخزي .

وبالجملة فقد هوت الاخلاق عن عروشها وتحول الجمال الى قبح وخبت انوار الفضائل من تضحية وصبر واستقامة وصداقة ، وارتفعت اصوات تقول باباحة كل شيء . وانه لا يمكن ارجاع عظمة الانسانية الا بالرجوع الى ادب الفتح وسلطة القوة اي ان اشراف الانسان على نفسه وهو من عمل المراكز العصبية السامية يجب ان يزول فينزل المفكر والكاتب والفيلسوف عن طبقة

الانسانية ويعطي الافضلية للمراكز العصبية الاخرى تلك التي تدير الغريزة والتي هي كل ما في البهم من عصب ودماغ .

انهم وايم الحق لمجرمون اولئك الذين يشعرون بالحاجة في نفوسهم الى الافساد، عاملين بعكس المهمة الطبيعية الملقاة على كواهلهم فيمدحون ما يستحق الذم ويؤثرون الروائح الكريهة على عطر الازهار ويميلون الى الشر ويجترونه في سواهم ويجدون فيه من الجمال ما لا يوجد الا في الخير . وما الفرق بينهم وبين اللصوص وسفاكي الدماء الا انهم قوّالون لا فعّالون فهم عبيد الخيال يخترعون من المذاهب الفلسفية ما يلائم طبائعهم ويخلعون عليها حللاً من الكلام المزوق الخادع .

وقد اصاب الشعر من الخمول مثل ما اصاب النثر فظهر شعراء كل أشعارهم ألغاز معمّيات وقامت فئة تقول ان المعاني غير ضرورية للشاعر وحسبه رنة الالفاظ . مع ان الصوت لا يبلغ اقصى مداه من البيان بالرنة وحدها ، ولا بد من اجادة التصوير والتعبير الذي يجعلك تلمس لمس اليد عمل الفكر في اعماق الدماغ فالمعنى هو الذي يخلع على الكلام جماله ويعطيه قيمته لا الصوت ولا النغم .

كنت سنة ١٩٢٠ في جبال ايطاليا فتعرفت الى بعض الادباء وانشدني احدهم قصيدة لشاعر كبير من الجدد واذكر انه بدأ فيها بلفظة « بوم » . ثم انتقل الى معنى آخر وقد اراد بهذه الكلمة ذكر المدفع وبيان فعله دون شرح ولا تعليق ظاناً انها تكفي وحدها للدلالة على ما يريد الشاعر ، وتغني عن الشرح والاسهاب في الوصف . من مثل هذا الشعر وامثاله يريدون ان يجعلوا الصوت كل شيء في النظم . وفيهم من اراد ان يعطي الكلمة معنى لونياً وهو ضرب من المزاح لا يمكن ان يتخذ قاعدة للفن الا عند المرضى .

انا اعلم ان هناك من قبل الحرب مذهباً في السمع الملوّن وان الاصوات توقظ عند بعض الناس احساسات اللون وتعليل هذا انه يوجد علاقة بين مراكز السمع والبصر والعصبية في الدماغ فاهتزاز الواحدة يؤثر في الثانية . ولكن هذا الاثر ضعيف مظلم منحط ولا يمكنه ان يكون اساساً لمذهب جديد في النثر والشعر . وما انتقال التأثيرات التي نشعر بها بواسطة المراكز العصبية للنظر اي من الصوت الى اللون الا رجوع الى اعمال العقل الاولى المشوشة التي كانت تجري في دماغ الحلزون حيث تختلط كل التأثيرات الاتية من الخارج كالصوت والنور والشم واللمس وتكاد لا يتميز بعضها عن بعض . وان رجلاً يتمتع بالتمييز الكامل بين هذه التأثيرات ثم يخلط بينها وينقل هذه الى مكان تلك لهو رجل يتنازل برضى عن كل ما اكتسبه من الارتقاء خلال الدهور ويتقهقر الى فجر النشوء فيهبط من شاهق الكمال البشري الى مستوى الحيوانات الدنيا وينزل عن التمييز الراقي الصريح الى الشعور المظلم الذي كان عليه الحلزون وغيره من الاصداف .

والذين تؤثر بهم هذه الكتابات الجديدة فيحسبونها آيات منزلات هم في الاكثر ممن لم يعانوا شدائد الحرب وان شهدوها . اما الذين تألموا حقيقة ولبوا نداء الارض والسهول والروابي والجبال والانهر والغابات والمدن والقرى وجادوا بالدم في سبيلها فهؤلاء وحدهم يعرفون معنى الجمال وقيمة الجمال ويهتزون بحق له .

وقد اتى على الحرب الماضية عشرون عاماً ولا يزال العقم مستولياً على القرائح وما خلا القليل من الموهوبين فالشعر كالنثر لا يزال في تقصير . وكم من موضوع جليل فتحت الحرب لنا ابوابه فوقفنا دونه حائرين صامتين .

ما يكون اثر الحرب الحاضرة في الاقلام يا ترى ، وكيف تؤدي رسالة الادب الى العالم المقبل علينا ؟ أيعيد التاريخ نفسه ام ينبعث من افق المستقبل شعاع جديد يحيي الامل ويبعث الهمم ويطلق الافكار من عقالها ويكون من النظام الجديد الذي يعنى به البشر حافز لهم يناديهم حيّ على الصلاح حيّ على الفلاح ؟ هذا ما لا يمكن الجزم به في الساعة الحاضرة والجواب في ضمير الشعراء والكتاب .

نقولا فياض



في اغلال الذهب

بقلم زكي المحاسني
استاذ العربية في تجهيز دمشق

صه ذا الذي ، يجب ان يسلك نفسه في غل من الذهب ؟ من هذا المسكين المفتر مبسمه عن السرور ، الخافق فؤاده بالحبور . في يديه قيد ، سلاسله وهاجة وعقده براقة . تطن اذا اصطفقت حلقاتها بطنين الدنانير ، وحين تطالعها الشمس ، يتلألأ لها بريق العسجد الابريز .

سأراني مهما أنادِ ، كصارخ في الوادي . ولو جاءت البلاد اتفرس اوجه العباد ، ادعوهم الى هـذي القيود ، لآثروا عليها اللحود . ولاشاحوا عني ضاحكين . او اربدت سحناتهم غاضبين . ولرب طماع فيهم بخيل ، لو ادرك عهد اشعب لنافسه في الرهان، وبذه في الشوط . ولافحم نقاد الواغلين واسكت لوام الطفيليين . فقال :

— انا زعيم بهذا القيد الذهبي على ان يصير لي ماكاً . هاك يدي ورجلي ، وهاك عنقي ، فقيد ثم قيد ، على ان يكون القيد في حوزتي كمالي ...

ليأخذني على هذا الطامع الغشوم ، خوف واشفاق . فقد تحمل من كلامي ظواهره ، وما غاص الى لبابه . لقد كنت اريد باغلال الذهب مشاكل من دنيانا ، نحس انفسنا فيها موثقين بالاصفاد ايدينا الى اعناقنا قد ربطت ، وارجلنا لا تحير مشية ولا تقدر على خطوة

كأننا في هذه المشاكل الدنيوية ، في حجرات من السجون ضئيلة ، لها طاق صغير نشبت فيه قضبان الحديد . اظلم جوفه وضاق بابه . وعليه حارس مرسل الشاربين متجهم الناظرين يطرق بالمفتاح على دف الباب بين حين وحين ان اسمى مقام رقيه انسان هو قيد محكم من الذهب . اليس العواهل والقياصرة والسلاطين في قيود مذهبة يرسفون فيها وهي غوال ثقال . ثم ألم يرو في الدهر خبر الملوك الذين رغبوا عن هذا القيد فآثروا من اجله البعد عن العرش .

هذه الاغلال كثيرة في الدنيا . ما أحسب انسانا خلا من واحد منها . لقد عاش عنها راضياً ، وبها قانعاً ، ودعا الناس الى مثلها ، وفي نفسه منها لوعة ، وبحلقه غصة

وأرى الوظيفة قيداً من الذهب ، يغدو الموظف كل صباح الى عمله في الدولة . انه ليمضي على سمت واحد ومياسمه متشابهة . اذا كان الصباح ارتدى لبوسه وسار الى قصر الحكومة . يوقر من فوقه ليوقره من دونه . هكذا يسلخ عمراً عشرين عاماً او ثلاثين ، وهو على فرد وتيرة ، وفي نغم واحد . ولو فتحت امام عينيه الحرية وانطلاقها والراحة وانعتاقها ، فابعدته عن الاحكام القاسية ، والنظام المقيم ، لبكى حنيناً الى حاله التي كان عليها . فلقد خلق الوفا كأبي الطيب مع مشيبه . هو يؤثر هذا القيد الثقيل المحبب، لانه يراه قيداً من ذهب .

ثم الزواج ، هذا القيد الذهبي الكبير . الغل الاقدس الذي وضعه الله في يدي آدم وزوجه ، وتواصل حبله في تاريخ البشر الى اليوم، ولولاه ، لما كان من اسرة على الارض .

ان الزواج ضرورة مقضية للانسان وحكم ملازم له . شرعته الديانات منذ وجدت ، وابتكرته الجماعات من يوم كانت . اهرقت له دماء ، وكفت به دماء . الم يقتل ابن آدم اخاه في سبيله . ألم تقترف الجنايات في طوال العصور من جراء الزحام عليه ... قيد صنع حلقته الاولى ابو البشر ، وربط بها امرأته اليه . فدرج على غراره اولاده من بعده . بعضهم يفر من القيد فينعم او يشقى ، وبعض يسلك فيه فيموت او يحيا .

حكم قاضي الحياة بوجوده ، لتبقى الحياه ، سالكة نظمها المثلى ، ماشية في سبيلها الاقوم . والـزواج رباط فرضه المرء على نفسه

بكل ارادته . من قلبه ولد ، وبعقله احكم . انه زهرة نبتت في جنينة الكون ، رعاها هو ورو اها واحسن مغرسها وانفاها : فكانت منها الثمرة الشهية ، التي لا تنسى . باركه الله في التوراة ، ورمز اليه النصارى بخاتم من ذهب يلبسه الزوجان بعد ان يسمعا من الكاهن هذا القول ويردداه :

— رضيت بك زوجاً ابد الدهر . رضيت بك زوجة ابد الدهر .

وما الخاتم الا حلقة من سلسلة طويلة من الذهب .

يتزوج المسيحي فلا يفصله عن زوجه الا الموت او العار . شركة حلوة يفنى على جانبيها العمر ، دون ان يحس صاحباه بفنائه . ولقد شرف الاسلام هذا القيد فكان من قول القرآن الكريم فيه :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» .

بلى ، ان سكنى المرء الى زوجه ، أمن ورغد وراحة وجنة نعيم . وان المودة التي بينهما والرحمة لمفزع في الملمات ، ومسحة دمع في الشجيات ، وبرد على القلوب وسلام .

ما احب الى قلوب المتزوجين طلعات ازواجهم . انهم يجولون رصفات الدروب ، فيقلبون الاعين في اوجه الحسان وقدودهن . يقايسون بين اهل الجمال ، فيفضلون خلقاً على خلق . ويصبون او يتصابون . ولكن حين يؤوبون الى بيوتهم فتلقاهم زوجاتهم بالوجوه الوضاحة ، والعيون البريئة ينسون كل فتون عرفوه ، خلف باب البيت . ويقبلون على رفيقات الحياة وقرينات العمر ، فيرون على عوارضهن خير الصباحة ، وفي قدودهن كل الملاحة .

وحين يبيتون لهن مفارقين ، او عنهن غائبين ، تهفو نحوهن منهم القلوب . فكم فيهم نادم على ما فرط من خصام . وكم لديهم مشتاق يود لو يقتطع الشقة فيصل الى زوجه كالطير .. قيد ذهبي . ما احبه الى النفوس الهنيئة التي عرفت القناعة في الحياة ، ولم تطلب ، الا الهدى والنجاح .

ما ابهج التفاف هذا الغل الذهبي على اصحابه حين يكون لهم فيه اولاد . فيتلقونهم من اعلى السلم او عند رتاج الباب ، يرتمون بين الايدي المتفتحة لاعتناقهم ، او يتصايحون تحت القبلات المنثورة ، على خدودهم ونحورهم . هذا يقول : بم جئت يابابا ، وتلك تستضحك فرحاً او تبكي غضباً . ثم قد تسمع في صحن البيت بكاء رضيع فيخيل اليك انه يزعجك عن مكانك ويطارحك في قلق وضجر ، ولو استعرت اذن الابوين لسمعت فيه هديل الحمام او نغمات العندليب .

ولقد يدمر عليك مكان نومك غريب ، فينهضك من فراشك بصوته ، فتثور بوجهه ، لانه راعك او اطار النوم من عينيك . لكن ، حين ينهضك طفلك الساعات الطوال في الليالي العذاب تعود الى النوم وانت هانئ ذو رضا .

انظر الى هؤلاء الشباب وفيهم رجال . يقال هؤلاء هم الطلقاء السعداء . نجوا من اغلال الذهب . ان ذرت الشمس على دارهم في الصباح لم يجدوا داعياً ينهضهم الى عمل هو للبيت . وان امسوا الى قطع من الليل في مراح النفوس ، ومرتع القلوب ، فعادوا الى المأوى لم يسمعوا شكوى ، ولم يعاينوا بلوى . ما امرأة تطالب منهم ثياباً ، ولا طعاماً ، وما ولد يتعلق باذيالهم ، فيسمعهم مواء ولا ثغاء !.

حين ارى هؤلاء ، اقول : اناس لم يجدوا انصافهم ليتموا بها . وازهار ، ان ذوت فاتت . على انهم ماضون في الموكب ، ولا بد صائرون الى ما صرنا اليه ، فمصفودون في اصفاد الذهب .

هكذا سار بنو الانسان ، كما سار القطيع الى المرعى . لقد تواقعوا على الزواج منذ كانوا فوجدوا فيه طول الاجيال ، وعلى ماضي العصور ، بلسماً لجرح الحياة ، وسلوة عن الفناء ، بالبقاء . هب « شوبنهور »في طريق موكبهم المزدحم الهدار ، فصاح بهم ، ان احذروا المرأة .. وكمن لهم « ابو العلاء » في المنعطف الاخر فصرخ فوقهم ان انبذوا الزوجة ، ولا تلدوا الولد ...

فمروا غير مكترثين ، تسمع ضحكاتهم من بعيد . مروا ازواجاً ، يجرون اولاداً ، قافلة تسير ، وستظل تسير ، حتى الزمن الاخير .

زكي المحاسني — دمشق

هكذا كان ...

نقولا بسترس



لبنــانْ
مسرح الغزلانْ
معقل النسور
مرقص البدور
نغمة الهوى
في فم العصور

ما احيلى الصباح
فيه ، يرخي وشاح
من جمال
ودلال
فوق اكتاف التلال
وعناقيد الدوالي
وعقود الاقاح

والمساء
عبقات من غناء
طيب ، حلو الاداء
وتصاوير والوان
وعصافير، الى الاعشاش ،
اسراباً تطير
وصدى راع يسير
خلف قطعان

ما احيلى القمر
من خلال الشجر
يتهادى سكران
بعبير الزهر
وبهمس الغدران

يروي على الليل شيئاً
من امس ، في شبه همس
وليس امس ، سوى
حكمة ، وعزة نفس

سفن تمخر البحــار
واسود تحمي الذمار
وظباء،
ربات حسن واحسان
هكذا كان
لبنان

نقولا بسترس

ذكرى نابغيه : شاعر وعالم

بقلم امين الغريب

★

الفريد تنيسون

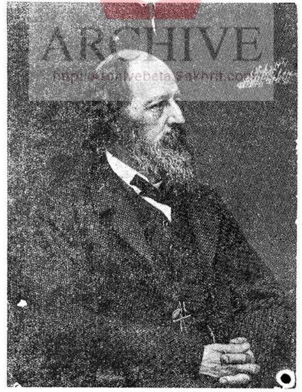
كان اليوم السادس من تشرين الاول الماضي ١٩٤٢ التذكار الخمسيني لوفاة اللورد تنيسون شاعر انكلترا الكبير في القرن التاسع عشر . هذا الرجل الذي بلغ من العمر ٨٣ عاماً اثرت اشعاره كل التأثير في معاصريه من جميع الطبقات .

كان عهد تنيسون عهد الشكوك الدينيــة والاضطرابات الفكرية . فأدخلت اشعاره في الميدان ايماناً قوياً ثابتاً بالله والاخرة ولا يزال بعضها حتى اليوم عماداً للباحثين في هذه الامور .

ولد هذا الشاعر سنة ١٨٠٩ واحداً من ١٢ ولداً وكان ابوه قساً بروتستانياً في لنكولنشير ، ومال الى الشعر منذ نعومة اظفاره . وقال في احدى قصائده : « ان الشاعر يولد في ارض عسجدية تحت كواكب من ذهب ومن ابرز مواهبه بغض البغض واحتقار الاحتقــار وحب الحب » .

وكان هذا الرأي خلقاً من اخلاقه . اما شكله الخارجي فقال عنه صديقه المؤرخ الفيلسوف توماس كرلايل : انه من اجمــل رجال العالم قوي البنية بادي النشاط مع لطافة في الوجه يلبس ثيابه ليستفيد منها لا ليحفظ الاصول » .

اما شعره فامتاز منه النوع الغنائي حتى عدّ من اية هذا الفن في اللسان الانكليزي . وله ملاحم طويلة نثر فيها مقاطع غنائية لا يزال الناس يتناشدونها معجبين ، واكثرها في قصائد « البرنسس » و « مود » وغيرها . ومما يؤثر عن تنيسون ان ليس بين شعراء الانكليز من كشف مثله للاجانب عن نواح حية من الاخــلاق البريطانية العالية . فكان بذلك شاعرهم الوطني الصحيح ، ووصف باسهاب حبهم للطبيعة والحقول والفضاء الواسع وتعلقهم المتين بالحرية .



الفريد تنيسون

سنة ١٨٥٠ مات وليم وودسورث «الشاعر المكلل بالغار » وهو لقب رسمي عند الانكليز يشبه لقب امير الشعراء فاختاروا له خلفاً تنيسون وظل يحمل هــذا اللقب الشريف مدة ٤٢ عاماً ولم يسبق لغيره مثل هذا الحظ . اما الذي يحمله اليوم

فاسمه جان مايسفيلد .

وفي سنة ١٨٥٠ نفسها نشر ديواناً عنوانه « الذكرى » ، وهو مجموعة قصائد مؤثرة رثى بها صديقه الحميم ارثر هالام وضمنها عواطف قلبية سنية وقد اجاد في تعريبها شعراً صديقنا الاستاذ انيس الخوري المقدسي معلم الاداب العربية في جامعة بيروت الاميركية . وكلها تنم على ايمان تنيسون الذي يقول فيها ما تعريبه : « ان رجاءنا وطيد بان يكون الخير في كل حال نهاية « للشر » . وكثيراً ما يتمثل الانكليز في محادثاتهم بابيات من « الذكرى » .

وقد عمد تنيسون دائماً الى تشريف الانسان وتذكيره انه احط مرتبة بقليل من ملائكة السماء . وكثيراً ما خاطب الامة البريطانية جمعاء ، وناشدها ان تكون متحدة قوية حكيمة . ولعل خير ما نختم به الكلام عنه كلمات من شعره نجعلها اكليل غار له . وهي قوله : « عرفان النفس واحترام النفس وضبط النفس ، هذه العوامل الثلاثة تؤدي الى قمة الاقتدار العليا »

اسحاق نيوتون

منذ ثلثمئة سنة ، يوم عيد الميلاد ، اي في ٢٥ كانون الاول ١٦٤٢ ولد اسحاق نيوتون احد اكابر العلماء البريطانيين في بيت صغير من الحجر في قرية ولستورب قرب غرانتام البلدة القائمة بين البطاح الزراعية في شرق الاراضي المتوسطة في انكلترا .

ولما بلغ سن الرابعة عشرة توفي ابوه فاخذ اسحاق يعاون امه في زراعة بستانه وحقوله اما دروسه العلمية فباشرها تحت اغصان صف طويل من الشجر على طريقه من ولستورب الى غرانتام حيث كان يعاون اجيره في المساومة على اسعار المواشي والدواجن .

ومع ذلك هذا العالم الذي لم يقف على استاذ قط ، بل تعلم بنفسه وبمحض تفكيره ، لم يكتف باكتشافه المرقب (التلسكوب) الذي يعكس الاشعة ، وحساب التام والتفاضل المتفاوت ، بل اوضح وفسر حركات الكواكب بنظام ظل هو المعول عليه في العالم كله ٢٥٠ سنة .

كتب ماكولاي المؤرخ الانكليزي الشهير يقول : « كان في اسحاق نيوتون نوعان من المقدرة العقلية متحدين كما لم يسبق لهما اتحاد قبله ولا بعده في مثل هذه الدرجة العليا من القوة . و كلاهما متناه في الضرورة ولا سيما في اسمى العلوم الطبيعية وارقاها وهو علم الفلك . والواقع ان ليس من عقل معروف في الدنيا اجتمعت فيه قوة الاستقراء ، وقوة البيان بمثل هذا القدر من التوازن والامتزاج» .

ولقد بدت قوة البيان في نيوتن اولا . فهو في ايام دراسته الابتدائية شاد مثالا مدهشاً للطاحون الهوائي في غرانتام . واوجد قناديل لانارة المدرسة . وانشأ ساعة كبيرة تدار بقوة الماء .

وبعد ما غادر المدرسة مضطراً قضى اربع سنوات في بيته فلم يظهر منه ميل الى الزراعة . ولذلك اقترح بعض من يعنيهم امره ان يرسل الى جامعة كمبريدج . فاستعد للامتحان سنة ١٦٦٠ وسجل اسمه للدخول في العام التالي . فكان ادراكه السريع للعلوم الطبيعية والرياضيات مدهشاً لمعلميه .

وادت ابحاثه وتفننه في « حساب التام والتفاضل المتفاوت » الذي لم يكن بعد معروفاً الى تقرير امور يستنير بها الطيارون في الجو حتى في ايامنا هذه .

ثم حول نيوتن عنايته الى علم النور والبصر والالوان . فادت اختباراته المثمرة ايضاً في هذا المجال الى انتخابه عضواً في الجمعية العلمية الملكية . وهذا كان اعلى شرف يمكن ان يناله عالم في عصره وقد اتفق له شراء زجاجة موشورة في سوق اقيمت في ستوربريدج فاخذ يفحص بها اللون وتركيب النور .

ثم امتحن نيوتن المرقب ، وكان الخبراء يجدون فيه مصاعب اذ تستحيل عليهم رؤية الاشياء واضحة لان عدسياته كانت تكسر الاشعة عند بلوغها زوايا مختلفة . وهكذا اذا سدد المرقب باحكام لاجل النور الازرق خرجت الاشعة الحمر من دائرة هذا التسديد والعكس بالعكس . فعالج نيوتن هذا الخلل باستعمال مرآة عاكسة بدلا من العدسية الكاسرة . وقد استحسن مرصد جبل بالومار في كاليفورنيا هذا الرأي وتمشى عليه في تركيب مرقبه الجبار .

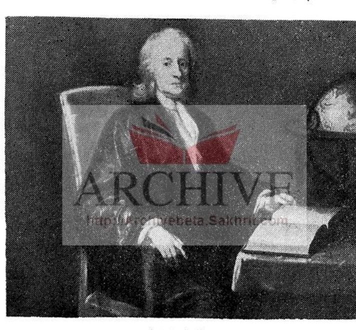
روى بمبرتون صديق نيوتون الحميم في خريف ١٦٦٥ : ان هذا العلامة كان جالساً مرة وحده في روضة مفكراً في موضوع ناموس الجاذبية . هذه القوة لا تتناقص مهما تبعد المسافة التي تستطيع الارتفاع اليها عن قلب الارض . فرأى من المعقول اذاً ان يستنتج ان هذه القوة تمتد الى ابعد مما يظن الناس . وقال في نفسه لماذا هي لا تبلغ القمر . واذا كان لها هذا التأثير اذاً فهي مؤثرة في

دورة الارض نفسها . وربما كانت الارض باقية في نطاقها بسببها . »

هذا ما نقله بعض الكتاب عن لسان نيوتون . والمشهور ان نيوتون كان منطرحاً تحت شجرة تفاح فسقطت منها تفاحة بجانبه ، فاستوقفت افكاره . هذه التفاحة كانت بالطبع نخرة ضعيفة فلم يهملها نيوتون ولم يحتقرها بل رأى في وجنتيها لمعاناً ابدياً بعث الى ذهنه شعاعاً ازلياً فحدق فيها طويلاً وشق للعلم بواسطتها سبيلاً .

لماذا هذه التفاحة عند انقطاع القيد الذي يربطها بالغصن تسقط تحت امها بجانب نيوتون . ولا تذهب في اعالي الفضاء ؟

لان الارض وهي اكبر منها تجذبها حتما اليها . اذاً والقمر اصغر من الارض لماذا لا يسقط عليها . ما هو القيد الذي يربطه في مكانه كالعنق التي تربط التفاحة بغصنها . أليس هو وجود اجرام كبرى وراءه تتجاذبه تجاذباً سويا وتمنعه من ذلك السقوط . او ليست هذه الاجرام العظيمة السابحة في فضاء اللانهاية متماسكة بناموس واحد يحفظ نظامها الدقيق في سيرها الابدي . وهو ناموس الجاذبية .



اسحاق نيوتون

التفاحة تسقط بجانب امها لان هذا ناموس الطبيعة العام . وبجانب نيوتون لان الله مهندس الكون الاعظم يرمي في الحين المناسب لخلائقه المتسكعة في دياجي الجهل شرارة من علمه الواسع فجعل نيوتون يفكر . وتخطت افكاره المسافة التي بين الارض والغصن الى اعالي السماء . هذه القوة التي تجذب التفاحة الى مركز ثقلها النوعي هي نفسها تجذب القمر لمرافقة الارض في دورانها حول الشمس . وان كان القمر لا يسقط على الارض ليتحطم واياها باصطدام عنيف فلان وراءه قوة تحفظه كالتي تحفظ التفاحة المنحنية نحو الارض معلقة بالغصن ولو انقطع قيد القمر من خلفه لسقط حالا على الارض كما فعلت تفاحة نيوتون عند انقطاع قيدها لكن قيد القمر لا ينقطع لتعلقه بكل قيود الاجرام السابحة في الجو . وهذا الكون يجري بقوة عامة شاملة تجذب الذرة الصغيرة في كل جسم حي او جامد الى جانب شقيقاتها كما تجذب المريخ والمشتري للدوران حول الشمس

قفز نيوتون من مضجعه الخشن تحت شجرة واستورب مبتهجاً كما قفز من قبله ارخميدس في الحمام . والحلقة المفقودة من سلسلة اراء كوبرنيخ البولندي وغاليلي الايطالي وكبار الالماني التي اثبتها بعدئـذ لفرياي الفرنساوي هي التي جعلت نيوتون الانكليزي يصيح كارخميدس في حمامه اليوناني : وجدتها . وجدتها وقد عجب هذا العالم الكبير من نتائج حسابه حتى خاف من نفسه واضطربت افكاره . وحار بين السرور والجزع .

كان نيوتون قد ولد عام ١٦٤٢ بعد بضعة اشهر من موت غاليلي فهل تقمص عقل هذا في جسم ذاك . ام هي العقول البشرية الكبرى قوة متسلسلة متواصلة الحلقات

عند ذلك ارتقى علم الفلك من حكايات تقديرية مبعثرة الى حقائق حسابية ظاهرة ، وتنسيقات هندسية مقررة ، وهذه النجوم التي تعد بالمليارات وتكبر الارض ملايين المرات ، وتقطع في الدقائق الوف الكيلومترات ، وترسل اشعتها في اقصر الثواني الى ابعد المسافات . اصبحت تجري امامنا ، بفضل تفاحة نيوتون ،

سوانح

●

بالامس التقيت بصديق اشرف على الكهولة فأخذ يتأوه على الشباب الذي خلفه وراء ظهره ويتأسف على نضارة ايامه التي طواهـا الزمان . فقلت له : لاتأسف على شبابك الآفل ما دمت تستقبل فجراً جديداً – فجر الكهولة الذي يقودك الى التجـدد في نضوج العقل والخبرة والعلم .

وغداً اذا احياك الله تتجاوز الكهولة والشيخوخة معاً فلاتجزع من وطأة هرمك وتصلب شرايينك ورخاوة اعصابك حيث تتجدد فيك قوة خفية تعدو بك الى المصير الاخير .

وفي المصير الاخير تبلغ كمال التجدد .

*

تتشابه المخلوقات في كل شيء من ادناها مرتبة الى اسماها شأناً . فاذا لم تعمل الفأس عملها في تفريد الاشجار وقطع اعمادها الشائخة وتشذيب اغصانها الماحلة فلا تتجدد فيها قوة الخصب والنضارة وحيوية التوليد والنمو . هكذا الناس اذا لم تعمل الحرب عملهـا في اممهم وشعوبهم فلا تتجدد فيهم قوة الابداع في الثقافة والعلم وميزة الاندفاع وراء المثل العليا والمبادىء القوية .

غير ان الفرق لجسيم بين عمل الفأس وعمل الحرب . فالفأس تقضي على شائخ الشجر وضعيفه . اما الحرب فتقضي غالبـا على الساعد الجبار والشباب الغض .

ان الانسانية تضحي على مذبح الحرب صفوة شبابها وتجازف باغلى ما تملك في سبيل اندفاعها وراء سنة النشوء والارتقاء . اما سائر المخلوقات فلا يضحى منها في هذا السبيل سوى الكائن الضعيف او العاجز الذي لا يصلح للبقاء .

هذه امثولة لو تعلمها الناس لكانوا اسرع خطى الى ما يرغبون واقل تضحية او مجازفة بالغالي مما يملكون .

*

بشر الامة بالنهضة والرخاء اذا استوى فيها اقدام الشباب ومجازفاتهم وحكمة الشيوخ وخبرتهم .

توفيق حسن الشرتوني

كصف منظم من المركبات والسيارات .

اما تصورات نيوتون في وقتها فلم تثمر . بل كان مترتباً على العالم ان ينتظر احدى وعشرين سنة حتى اثبت هذا الرجل بكتاباته صحة نظرياته . وتمكن بعد ذلك على ضوء استنتاجاته في ناموس الجاذبية من التنبوء بحركات للكواكب لم يكن الناس يفهمون كيفيتها واسبابها ففعل ذلك بضبط واحكام حتى عين الموعـد لرجوع النجم المذنب الذي اكتشفه صديقه هالي .

ولم يقل احد بوجود اقل خلل في نظام نيوتون الفلكي الى عام ١٩١٥ اذ تبين لانشطين غلط صغير في حساب ذلك النظـام متعلق بالسيار عطارد . وقد فسر انشطين ذلك بطريقته الجديدة وهي « النسبية » .

وكان محتملاً ان يكتشف نيوتون اكتشافات اهم من هذه لولا انه دخل السياسة . وهو انما دخل السياسة لفائدة العلم ، اي ليقي جامعة كمبريدج من تعسيف بعض الحكام في ذلك الزمان . فانتخب عضواً في مجلس النواب سنة ١٦٨٩ ونال لقب « سير » عام ١٧٠٥ .

ومما يؤثر عنه ان ابحاثه العلمية كانت تشغله عن كل شيء في الدنيا حتى اذا نهض من فراشه وقف احياناً اربع ساعات او خمساً قرب سريره مطرقاً مفكراً ناسياً ان يلبس ثيابه .

ولم يتزوج نيوتون . بل مات عزباً في شهر آذار ١٧٢٧ عن ٨٥ عاماً . ولعله لو تزوج لعاش اكثر . . .

امين الغريب

الجن في الادب

بقلم حكمت المر

مهداة الى الدكتور انور حاتم

◆

للجن مكان كبير فيما يضعه الرواة من أدب التسلية ليروى حول المدفأة في ليالي الشتاء، وفيما تنسجه مخيلات ابناء الشعب من ادب الاسطورة تعليقاً على حادث عابر، او تعريضاً بذي سلطان، او تشوقاً الى امل يعز طلابه . فهذا الادب الشعبي الذي يفعم حافظات جداتنا والكتب التي يتداولها عامتنا، حافل بالرائع من قصص الجن وعجائبهم وتدخلهم في حياة البشر وتصريفها على ما تسول لهم نفوسهم الامارة بالسوء . وهو ادب لا يخلو من عبرة، ولا يخلو من متاع، فعسى ان يتوفر على جمعه وتهذيبه من يحسن هذا الفن . اما ما نحن بسبيل الحديث عنه، فهو الادب العربي الذي ورثناه وتدارسناه جيلاً بعد جيل . ففي هذا الادب ايضاً للجن نصيب، لا ازعم انه جد كبير، لكنه جد طريف . كيف لا والجن قوامه، عنهم يروى واليهم ينسب .

امتع حكايات الجن في الادب العربي ما يروى عن شياطين الشعر، فقد كان بعض الاقدمين يعتقدون ان لكل شاعر نجياً يلقي اليه بروائع الشعر . بل ذهب بعضهم الى ان لكل شاعر من الانس إلفاً من الجن يقول الشعر فيلقيه في وهم الانسي، ويقول الانسي الشعر فيأخذه الجني عنه . فيكون احدهما قائل القصيده في عالم الانس، ويكون الثاني قائلها في عالم الجن ! (راجع حديث عليّ بن الجهم للمتوكل عن تابع زهير بن ابي سلمى، في معجم الادباء ج ١٦ ص ١٨٠)

ولدت هذه الاسطورة في مهد الجاهلية وعاشت ردحاً من الزمن في حضن الاسلام، وقد تمخضت بها مخيلة الشعراء انفسهم ثم حاكاهم الرواة فيها، وبالغ اولئك وهؤلاء . فزعموا انهم كانوا يحادثون الجن ويعاشرونهم، ولهم في هذا الشأن اقاصيص آية في الطرافة وغاية في الامتاع . قال ميمون بن قيس الاعشى احد فحول الجاهلية :

« خرجت اريد قيس بن معد يكرب بحضرموت، فضللت في اوائل ارض اليمن، لاني لم اكن سلكت ذلك الطريق قبل، فأصابني مطر، فرميت ببصري اطلب مكاناً الجأ اليه، فوقعت عيني على خباء من شعر، فقصدت نحوه، واذا انا بشيخ على باب الخباء، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام، وأدخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت، فحططت رحلي وجلست . فقال : من انت؟ والى اين تقصد ؟ قلت : انا الاعشى، اقصد قيس بن معديكرب . فقال : حياك الله ! اظنك امتدحته بشعر ؟ قلت : نعم . قال : فانشدنيه . فابتدأت مطلع القصيدة :

رحلت سميــّة غدوة اجمالها   غضباً عليك فما تقول بدا لها !

« فلما انشدته هذا المطلع، قال : حسبك! اهذه القصيدة لك؟ قلت : نعم . قال : من سمية التي تنسب بها ؟ قلت : لا اعرفها، وانما هو اسم القي في روعي . فنادى : يا سميــة، اخرجي . واذا جارية خماسية (اي طولها خمسة اشبار) قد خرجت، فوقفت وقالت : ما تريد يا ابت ؟ قال : انشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معد يكرب ونسبت بك في اولها . فاندفعت تنشد القصيدة حتى اتت على آخرها لم تخرم منها حرفاً، فلما اتمتها قال : انصرفي . ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم، كان بيني وبين ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر، ما يكون بين بني العم، فهجاني وهجوته فافحمته . قال : ماذا قلت فيه ؟ فقلت :

ودع هريرة ان الركب مرتحل   وهل تطيق وداعاً ايها الرجل

« فلما انشدته البيت الاول، قال : حسبك ! من هريرة هذه التي نسبت بها ؟ قلت : لا اعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها . فنادى : يا هريرة ! فاذا جارية قريبة السن من الاولى خرجت، فقال : انشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها يزيد بن مسهر . فأنشدتها من اولها الى آخرها لم تخرم منها حرفاً . فسقط في يدي وتحيرت وتغشتني رعدة .

« فلما رأى ما نزل بي، قال : ليفرخ روعك يا ابا بصير، انا هاجسك مسحل بن اثاثة، الذي القي على لسانك الشعر .

قال الاعشى : فسكنت نفسي، ورجعت اليّ، وسكن المطر فدلني على الطريق، واراني سمت مقصدي . وقال : لا تعج يميناً ولا شمالاً حتى تقع ببلاد قيس . » (خزانة الادب ج ٣ ص . ٥٤٩)

ولهذه الطرفة رواية ثانية مصغرة رواها جرير بن عبدالله البجلي (الاغاني ج ٩ ص ١٥٦) واكد فيها انه التقى مسحل في بعض اسفاره فأنشده شعر الاعشى واخبره انه هو الذي يلقيه على لسانه . ويبدو انه كان لغير الاعشى من شعراء الجاهلية، اقاصيص

مماثلة لاقصوصته . ففي الجمهرة (ص ٢٣) اشارة الى لافظ صاحب امريء القيس ، وهاذر صاحب النابغة . وفي غير الجمهرة اشارة الى غير هذين . لكن هذه الاقاصيص قد فقدت كما فقد غيرها من ادب الجاهلية . وان النزر اليسير الذي وصلنا من هذا الادب ، يجعلنا نأسف على ما لم يصلنا منه ، لما يمتاز به من براعة في الصنعة وروعة في الخيال . من ذلك ما جاء في الاغاني (ج ١٨ ص ٢٠٩) عن الشاعر الجاهلي ثابت بن جابر الذي لقب تأبط شراً لانه ، فيما حكي ، لقي الغول في ليلة ظلماء ، في موضع يقال له رحى بطان في بلاد هذيل ، فأخذت عليه الطريق ، فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها . فلما اصبح حملها تحت ابطه وجاء بها الى اصحابه ، فقالوا عنه : تأبط شراً ، وقال هو في وصف الغول وصراعه لها :

الا من مبلغ فتيان فهم	بما لاقيت عند رحى بطان
واني قد لقيت الغول تهوي	بسهب كالصفيحة صحصحان
فقلت لها : كلانا نضو أين ،	اخو سفر ، فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فأهوى	لها كفي بمصقول يماني
فأضربها بلا دهش فخرت	صريعاً لليدين وللجران
فقالت : عد . فقلت لها : رويداً	مكانك ! انني ثبت الجنان
فلم انفك متكئاً عليها	لانظر مصبحاً ماذا اتاني
اذا عينان في رأس قبيح	كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب	وثوب من عباء او شنان

ومن ذلك ايضاً ما جاء في « المحاسن والاضداد » (ص ٦٩) عن نجيح اليربعي الذي خرج يوماً الى الصيد ، فعرض له حمار وحش ، فأتبعه حتى دفع الى اكمة ، فاذا هو برجل اعمى اسود قاعد في اطمار ، وبين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت . فدنا منه نجيح ، فتناول منها بعضها ، فلم يستطع ان يحرك يده حتى ألقاها . فقال : يا هذا ، ما الذي بين يديك ؟ وكيف تستطيع حمله ؟ ألك هو ام لغيرك ؟ فاني اعجب مما ارى ! اجواد انت فتجود لنا ، ام بخيل فأعذرك ؟ فقال الاعمى : كيف تطلب مال رجل قد غاب منذ سنتين ، وهو سعد بن خشرم ، فائتي بسعد يعطك ما يشاء .

فانطلق نجيح مسرعاً ، قد استطير فؤاده ، حتى وصل الى محلته ودخل خباءه ، فوضع رأسه ونام لما به من الغم لايدري من سعد ! فأتاه في منامه آت ، فقال له : يا نجيح ، ان سعد بن خشرم في حي محلم من ولد ذهل بن شيبان ، فخرج وسأل عن بني محلم ثم سأل عن خشرم ، فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه ، فحياه نجيح فرد عليه . فقال له نجيح : من انت ؟ قال : خشرم بن شماس . قال : واين ابنك ؟ قال : خرج في طلب نجيح اليربوعي وذلك أن آتياً أتاه في منامه فحدثه أن مالاً له في نواحي بني يربوع لايعلم به الانجيح فضرب نجيح بطن فرسه وهو يقول :

أيطلبني من قد عناني طلابه	فياليتني ألقاك سعد بن خشرم
اتيت بني يربوع تبغي لقاءنا	وقدجئت — كي ألقاك — حي محلم

فلما دنا من محلته استقبله سعد ، فقال له ايها الراكب ، هل لقيت سعداً في بني يربوع ؟ فقال : أنا سعد ، فهل تدلني على نجيح ؟ فقال : انا نجيح ! وحدثه بالحديث ، ثم قال : الدال على الخير كفاعله .

فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان ، فتوارى الرجل الاعمى حين ابصرهما ، وترك المال . فأخذه سعد كله . فقال له نجيح : ياسعد ، قاسمني . فقال له : اطوعن مالي كشحاً ! وأبى ان يعطيه شيئاً . فانتضى نجيح سيفه ، وجعل يضربه ، حتى برد . فلما وقع قتيلاً ، تحول الرجل الحافظ للمال سعلاة ، وأعاد المال الى مكانه . ولما رأى نجيح ذلك ولى هارباً الى أهله .

وهنالك حكايات شائقة اخرى ، منها قصة مالك بن الحريم وكان قد خرج في نفر من قومه يريدون عكاظ ، فاصطادوا ظبياً وأصابهم عطش شديد ، فانتهوا الى موضع فقصدوا الظبي وجعلوا يشربون من دمه من العطش . فلما ذهب دمه ذبحوه ، وخرجوا في طلب الحطب ، وكمن مالك في خبائه ، فأثار بعضهم ثعباناً ، فأقبل منساباً حتى دخل رحل مالك فلاذ به . واقبل الرجل في اثره ، وقال : يامالك استيقظ فان الثعبان عندك ، فاستيقظ مالك ونظر الى الثعبان فاذا هو يلوذ به . فقال للرجل عزمت عليك ألا تركته ؟ فكف عنه وانساب الثعبان الى مأمنه . ثم ارتحلوا واشتد بهم العطش ، واذا بهاتف يهتف بهم مرشداً اياهم الى عين خرارة في اصل جبل ، فشربوا وسقوا ابلهم ، وحملوا ريهم حتى اتوا عكاظ . ثم اقبلوا حتى انتهوا الى ذلك الموضع ، فطلبوا العين فلم يجدوها ، لكنهم سمعوا هاتفاً يقول شعراً ، فعرفوا منه ان الثعبان الذي انجاه مالك هو الذي فجر له تلك العين شكراً على صنيعه . (بلوغ الادب ص٣٦٢ ج ٢) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (ج ٤ص ٤٤٨) قصة عن رجل من كلب يقال له عبيد الله بن الحارس كان قد ارتحل الى وادي تبل فرأى روضة وغديراً ، فنزل هناك مع اهله . ثم صعد الى الجبل فرأى قنفذة فرماها فقتلها وكان معها ولدها فارتبطه . فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن يقول له انه اساء جوارهم

اذ قتل القنفذة وهي منهم . ويدور بين الهاتف والاعرابي حوار شعري طريف فيه عتاب وفخر ومروءة من الجني والانسي .

وهنالك حكايات يطول سردها وتعدادها وكلها في هذا المستوى العالي من البراعة والروعة .

الجن في الادب العربي بعد الاسلام

لا يخلو الادب العربي في صدر الاسلام وبعده من حكايات الجن . لكنها اتسمت في هذا العهد بميسم جديد ، فهي لم توضع كقصة الاعشى وأبيات تأبط شراً لمجرد الرواية والامتاع والمفاخرة بل هي تنطوي اكثر الاحيان على عبرة يغلب عليها طابع العصر النبوي . ولعل اقلها انطباعاً بهذه الروح واقربها الى روح العصر الجاهلي ، ما جاء في الجمهرة (ص ٢٣) عن شيطان عبيد بن الابرص الاسدي ، على لسان راو مجهول ، قال :

« خرجت على بعير لي صعب يمر بي لا يملكني من امر نفسي شيئاً ، حتى مر على جماعة ظباء في سفح جبل ، على قلته رجل عليه أطمار له . فلما رأتني الظباء هربت ، فقال : ما اردت الى ما صنعت؟ انكم لتعرضون بمن لو شاء قدعكم عن ذلك ! فداخلني عليه من الغيظ ما لم اقدر أن احمله ، فقلت : ان تفعل بي ذلك لا ارضى . فضحك ثم قال : امض عافاك الله لبالك .

« فجعلت اردد البعير في مراعي الظباء لاغضبه ، فنهض وهو يقول : انك لجليد القلب ! ثم اتاني فصاح ببعيري صيحة ضرب بجرانه الارض ، فوثبت عنه الى الارض وعلمت انه جان ، فقلت : ايها الشيخ ، انك لاسوأ مني صنيعاً ! فقال : بل انت أظلم والأم ، بدأت بالظلم ثم لؤمت في تركك المضي . فقلت : أجل عرفت خطئي . قال : فاذكر الله فقد رعناك وبذكر الله تطمئن القلوب . فذكرت الله تعالى ، ثم قلت دهشاً : أتروي من اشعار العرب شيئاً؟ فقال : نعم ، أروي واقول قولا فائقاً ، مبرزاً . فقلت : فأرني من قولك ما أحببت ، فأنشأ يقول :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي ... من آل سلمى ولم يلمم بميعاد

« فلما فرغ من انشاد القصيدة كلها ، قلت : لهذا الشعر اشهر في معد بن عدنان من ولد الفرس الابلق في الدهم العراب . هذا لعبيد بن الابرص الاسدي . فقال : ومن عبيد لولا هبيد ! فقلت : ومن هبيد . فانشأ يقول :

انا ابن الصلادم ادعى الهبيد ... حبوت القوافي قرمي اسد
عبيداً حبوت بمأثورة ... وانطقت بشراً على غير كد
ولاقى بمدرك رهط الكميت ... ملاذاً عزيزاً ومجداً وجد
منحناهم الشعر عن قدرة ... فهل تشكر اليوم هذا معد ؟

« فقلت : اما عن نفسك فقد اخبرتني ، فاخبرني عن مدرك .

فقال : هو مدرك بن واغم صاحب الكميت ، وهو ابن عمي ، وكان الصلادم وواغم من اشعر الجن . ثم قال : لو انك اصبت من لبن عندنا . فقلت : هات ! اريد الانس به ، فذهب فأتى بعس (اي اناء) فيه لبن ظبي ، فكرهته لزهومته (اي لرائحته المنتنة) فقلت : اليك ! ومججت ما كان في فمي منه . فأخذه ثم قال : امض راشداً مصاحباً ، فوليت منصرفاً ، فصاح بي من خلفي : اما انك لو شربت ما في العس لاصبحت اشعر قومك .

قال : فندمت على اني لم اشرب ما في عسه في جوفي على ما كان من زهومته وانشأت اقول في طريقي :

اسفت على عس الهبيد وشربه ... لقد حرمتنيه صروف المقادر
ولو انني اذ ذاك كنت شربته ... لاصبحت في قومي لهم خير شاعر

اما اكثر حكايات الجن انطباعاً بروح العصر القوي واوفاها دلالة على منحى الادب فيه ، فهي قصة سواد بن قارب . ففي « بلوغ الارب » (ص ٣٠٣ ج ٢) ان سواد بن قارب وفد على عمر بن الخطاب ، فطلب منه ان يحدثه بشيء من كهانته ، فغضب وقال : يا امير المؤمنين ، ما اظنك استقبلت بهذا الكلام غيري ، فلما رأى عمر الكراهية في وجهه قال : يا سواد ، ان الذي كنا عليه من عبادة الاوثان اعظم من الكهانة ، فحدثني بحديث كنت اشتهي ان اسمعه منك .

قال : نعم يا امير المؤمنين ، بينما انا في ابلي بالسراة ، وكان لي نجي من الجن اذ اتاني في ليلة وانا كالنائم ، فركضني برجله ، ثم قال : قم يا سواد ، فقد ظهر بتهامة نبي يدعو الى الحق والى طريق مستقيم ، قلت : تنح عني فاني ناعس ، فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... بين روابيها واحجارها

ثم لما كان في الليلة الثانية أتاني ، فقال مثل ذلك القول ، فقلت : تنح عني فاني ناعس ، فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وتجبارها ... وشدها العيس بأقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... ليس قداماها كأذنابها

ثم اتاني في الليلة الثالثة فقال مثل ذلك فقلت : اني ناعس . فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وإيجاسها ... وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... واسم بعينيك الى راسها

قال سواد : فلما اصبحت يا امير المؤمنين ارسلت لناقة من ابلي فشددت عليها ، واتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وبايعت ، وانشأت اقول :

اتاني نجيي بعد هدء ورقدة ... ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة ... اتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الازار وارقلت ... بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد ان الله لا رب غيره ... وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة ... الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب

الى آخر القصيدة ..

ففرح رسول الله واصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رؤي الفرح في وجوههم ، فوثب اليه عمر فالتزمه (اي فقبله) وقال : قد كنت احب ان اسمع هذا الحديث منك، فهل يأتيك رئيك اليوم ؟ فقال : منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن ! »

وهكذا اصبح للجن في الادب العربي شأن جديد ، واذا في الجن مسلمون ومشركون ، ولهم شيع واحزاب ، وبينهم خصومات وحروب . فهذا ميمون الآمدي يروي انه ركب بحر الخرز فاستاقه ريح الشمال شهراً في اللجة فوقع هو ورجل من قريش الى جزيرة في البحر ليس بها انيس . فجعلا يطوفان حتى اشرفا على هوة ، واذا بشيخ يسألهما عن قومهما ونسبهما ثم يسألهما : اولد النبي محمد بن عبدالله ؟ فيقولان انه توفي منذ اربعين سنة ، فيشهق حتى يظنا ان نفسه قد خرجت ، وينخفض حتى يصير كالفرخ الخ .. (الجمهرة ص ٢٦)

وهذا زياد بن النضر الحارثي ، يقص قصة فتاة فقدها اهلها ايام الجاهلية فلما كان زمن عمر بن الخطاب اذا هي قد جاءت وقد عفا شعرها واظفارها وتغيرت حالها . فسألها ابوها انى كانت ؟ فقالت له ان جنياً قد اختطفها فذهب بها فلم تزل فيهم حتى غزا هو واهله قوماً مشركين فجعل لله نذراً ان هم ظفروا بعدوهم ان يعتقها ويردها الى اهلها الخ " .. (المنتقى من اخبار الاصمعي ص ١٣)

وهذا الشاعر دعبل يزعم انه لما هرب من الخليفة بات ليلة بنيسابور فسمع جنياً ينشده قصيدته :

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات

ثم يقول له الجني بعد حوار قصير : مكثت حيناً اسمع بذكر جعفر بن محمد ، فصرت الى المدينة فسمعته يقول : حدثني ابي عن ابيه عن جده . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عليّ وشيعته هم الفائزون ! (الاغاني ص ٣٩ ج ١٧)

ولما بعد العهد بدهشة العصر النبوي ، واستبحر العرب في الترف والحضارة ، تطور الادب العربي تطوراً عظيماً وبلغت اقاصيص الجن الغاية في جمال الفن . فهذا ابو نواس مثلاً يتنكر له حبيبه فيسأل ابليس ان يعطفه عليه ، ويهدده ان لم يقض له حاجته ان لا يسأله بعدها مسألة ولا يقر عينه بمعصية، فيأتيه ابليس ويسترضيه . (عصر المأمون ج ٣ ص ٢٣٣) . ويقول ابن هانيء في ذلك :

لما جفاني الحبيب وامتنعت ... عني الرسالات منه والخبر
فاشتد شوقي فكاد يقتلني ... ذكر حبيبي والهم والفكر
دعوت ابليس ثم قلت له ... في خلوة ، والدموع تنحدر :
اما ترى كيف قد بليت وقد ... أقرح جفني البكاء والسهر ؟
ان انت لم تلق لي المودة في ... صدر حبيبي ، وانت مقتدر ،
لا قلت شعراً ولا سمعت غنا ... ولا جرى في مفاصلي السكر
فما مضت بعد ذاك ثالثة ... حتى اتاني الحبيب يعتذر ،
فيا لها منة لقد عظمت ... عندي لابليس ما لها خطر !

وهذا الغريض يتلقى الغناء عن ابن سريج ثم يفوقه فيه ، فينحيه هذا عن مجالسه . فيروح الغريض يدور على اصحابه ويقول لهم : سمعت البارحة صوتاً من الجن بترجيع وتقطيع فبنيت عليه صوت كذا بشعر فلان . ثم يغنيهم صوتاً جديداً عجيباً (الاغاني ج ٢ ص ٣٧٣)

لكن امتع هذه الاقاصيص واظرفها ما رواه ابراهيم بن اسحاق الموصلي عن زيارة ابليس له . قال ابراهيم :

« سألت الرشيد ان يهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه اليّ بوجه ولا بسبب ، لاخلو فيه بجواري واخوالي ، فأذن لي يوم السبت ، وقال لي هو يوم استثقله ، فاله فيه بما شئت . فاقمت يوم السبت بمنزلي وتقدمت في اصلاح طعامي وشرابي بما احتجت اليه، وامرت بوابي فأغلق الابواب وتقدمت اليه الا يأذن عليّ لاحد .

« فبينا انا في مجلسي والخدم قد حفوا بي وجواريّ يترددن بين يدي ، اذا انا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه قميصان ناعمان

وخفان قصيران ، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة ، وبيده عكازة مقمعة بفضة ، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار . فداخلني بدخوله عليّ مع ما تقدمت فيه غيظ ما تداخلني قط مثله ، وهممت بطرد بوابي ومن حجبني لاجله . فسلّم عليّ احسن سلام فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس ، ثم اخذ بي في احاديث الناس وايام العرب واحاديثها واشعارها حتى سلى ما بي من الغضب ، وظننت ان غلماني تحروا مسرتي بادخالهم مثله عليّ لادبه وظرفه .

« فقلت : هل لك في الطعام ؟ فقال : لاحاجة لي فيه . فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك اليك . فشربت رطلًا وسقيته مثله . فقال لي . يا ابا اسحاق ، هل لك ان تغني لنا شيئاً من صنعتك وما قد نفقت به عند الخاص والعام ؟ فغاظني قوله ، ثم سهلت على نفسي امره ، فأخذت العود فجسسته ثم ضربت فغنيت . فقال احسنت يا ابراهيم ! فازداد غيظي وقلت . ما رضي بما فعله من دخوله علي بغير اذن واقتراحه ان اغنيه حتى سماني ولم يكنني ولم يجمل مخاطبتي ! ثم قال . هل لك ان تزيدنا ؟ فتذممت فاخذت العود فغنيت ، فقال : أبدعت يا أبا اسحاق ، فأتم حتى نكافئك ونغنيك . فأخذت العود وتغنت وتحفظت وقمت بما غنيته اياه قياماً تاماً ما تحفظت مثله ، ولا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي خليفة قط ولا غيره ، لقوله لي اكافئك . فطرب وقال . احسنت يا سيدي . ثم قال : اتأذن لعبدك بالغناء؟ فقلت . شأنك . واستضعفت عقله في ان يغنيني بحضرتي بعدما سمعه مني . فأخذ العود وجسه ، فوالله لخلته ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعته من صوته ، ثم تغنى .

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح

قال ابراهيم : فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه من حسن غنائه ، حتى خلت والله اني اسمع اعضائي وثيابي تجاوبه ، وبقيت مبهوتاً لا استطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي ، ثم غنى .

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة فاني الى اصواتكن حزين

فكاد عقلي ان يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعت ، ثم غنى .

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد

« ثم قال : يا ابرهيم ، هذا الغناء ، فخذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك . فقلت : اعده علي . فقال : لست تحتاج ، قد اخذته وفرغت منه . ثم غاب من بين يدي ، فارتعت وقمت الى السيف فجردته ، وعدت نحو ابواب الحرم فوجدتها مغلقة . فقلت للجواري : اي شيء سمعتن عندي ؟ فقلن : سمعنا احسن غناء سمع قط . فخرجت متحيراً الى باب الدار فوجدته مغلقاً . فسألت البوابين عن الشيخ ، فقال لي : اي شيخ هو ؟ والله ما دخل اليك اليوم احد . فرجعت لاتأمل امري ، فاذ هو قد هتف بي من بعض جوانب البيت : لا بأس عليك يا أبا اسحاق أنا أبليس وانا كنت جليسك ونديمك اليوم ، فلا ترع » (ذيل زهر الآداب ص٢٦٤) .

حكمت المر



وفاء

◆

القصيدة التي نظمها شاعر الارز الاستاذ شبلي بك الملاط و ألقاها نجله المحامي الاستاذ وجدي الملاط في الحفلة التي اقيمت في منتدى وست هول بالجامعة الاميركية احياء لذكرى الفقيد الاستاذ الكبير كامل بك حميه. وقد شاء الشاعر ان يخصّ بها مجلة « الاديب »

سبيلك الاسى ذكرى رفيق   رضي شمائل سلس رقيق
تعارفنا قديماً تحت جوّ   بعرف الود فواح عبوق
يلقننـا هوى لبنان آياً   طبعناها على القلب الخفوق
قضيت وكاملا زمناً توارى   كاحلام الكرى للمستفيق
تساقينا على السراء كاساً   شربناها معاً في يوم ضيق
على ما شاء عهد الود منـا   طوينا صفحة العمر الوريق
ترعرعنـا على عهد وثيق   وقد شبنا على العهد الوثيق
نحب السنديانة في رباهـا   ونوح النهر في الوادي العميق
وكرماً نوّر العنقود فيه   وحقلا في كساء من شقيق
فلا الانفاس تصدأ في ازدحام   ولا الاخطار تكمن في الطريق
ولا صخب المدينـة مستفز   سكونك في الغروب وفي الشروق
تصون نظـامنا دول عظام   تحاماهـا المتوج في فروق
وغرح في فضاء مستقـل   غداة الغير يرسف في مضيق
نهضنا نهضة للعـلم غرا   حملناها الى الملأ الشقيق
وسرنا في ميادين الترقي   على فرس بفارسه سبوق
بثثنا النور من ادب وفن   على شقين من قلم صدوق
وقلنا الشعر في الافاق سحراً   وابدعنا به عصر الرحيق
لمعنـا خاطراً شرقاً وغرباً   كأن من الذكا خطف البروق
وفضلنا الثقافة مع كفاف   من الدنيا على العيش الانيق
وللاداب مجمرة عليها   تفوح روائح المسك الفتيق
اذا جالت عيون في وجوه   فما وقعت على رجه صفيق
وللفتيان والفتيات حد   فلا يعدو الفريق على فريق
ولا حاما على حوض الملاهي   كما حام الفراش على الحريق
وللناموس والدين احترام   وعهد في كتابهما العميق
ومال رأسه ثقـة وصدق   كجوهرتين في العقد النسيق
وللاحكام والشورى رجال   طوال الباع في الامر الدقيق
فلم يك عامل الا مزكى   ولا قاض سوى الكفوء الخليق
فلا صدف يقوم مقام در   ولا خزف بديل من عقيق
ولا غريد رابيـة وسفح   يحل محله صوت النعيق
ولا فوضى خليط في خليط   ورأي غير مجتمع مزيق

شتيت واحد في بعلبـك   وآخر في تهامة والعقيق
تشعبت البـلاد بساكنيها   فكل نافخ فيها ببوق

●

سلوا الفصحى اما بالامس قامت   مساندها على الاصل العريق؟
محافظة على نطق صحيح   ومعنى الحسن في اللفظ الرشيق
ومن كاليازجي ومعاصريه   فروع تستهل على العروق
جهابذة فطـاحلة أقاموا   واحيوا للفصاحة كل سوق
واما اليوم فالفصحى يراها   قبيل كالحكاكة في الحلوق
اذا اصحابهـا هبـوا رمتهم   مرازبـة اللسـان بمنجنيق

●

قديماً كان يجمعنا منيع   اعز حمـاه من بيض الانوق
أكامل من لنـا بقديم عيش   ابيّ مرّ كالطيف الطروق
تلمسنـا الجديـد فلم نجده   سوى ما للسراب من البريق

●

جزاك الله من خـل اديب   تخامر ذكره ريّا الخلوق
نظمت الشعر ثم رغبت عنـه   بـلا اسف ولا قلب مشوق
توليت القضـا حراً طليقـا   وكل السر بالقـاضي الطليق
ومن الف النزاهـة فهو حر   ومن يدنس فكالعبد الرقيق
وكنت من الادارة في مكان   تميـل به الى الطبع الرقيق
تقلب في الامـور الرأي حتى   يلوح لعينك الامر الحقيقي
وتعتمد التروي والتـأني   اذا اشتبكت حقوق في حقوق
وتلقى النـاس آحاداً ومثنى   رحيب الصدر ذا وجه طليق
فاحسنت الملاحة في خضم   بـه يهوي الغريق على الغريق
وغادرت المنـاصب مطمئناً   ولم تخسر بنهجك من صديق
اعانك للثبات بها دهـاء   يـدل على الفتى المرن اللبيق
نفعت ولم تضر وذاك ذخر   وزاد المرء في السفر السحيق
شقيقك من جرحت وكنت تحنو   عليه حنو والده الشفيق
كثير من شجوتهم ولكن   احر الحزن في صدر الشقيق
محضتك يا ابن عباس وفـائي   بذكرك في صبوحي والغبوق
ذكرت اليوم منك اخاً رفيقاً   وان غداً سيذكرني رفيقي

شبلي الملاط

الغريزة

بقلم محمد روحي فيصل

★

كان الليل متحير الصفاء والهواء حين صار الفتى المسافر الملول الى المقهى يلهو فيه على عادته حيناً من الزمن بالدخان يتصعد حلقات من رأس نارجيلته المقرقرة ، ويستمتع بالنظر الى الناس مجتمعين على أنس وسمر ، ولكن نفسه المنطوية لم تنبسط في الزحمة والصخب ، فضاق صدره حتى ليحسب ان أنفاسه ما تكاد تهبط او تعلو ، كأنما تخلعت اضلاعه ومادت في مكانها ثم انحدرت تريد الالتصاق . وجيء له بعد قليل بكوب من الشاي الساخن فدفعه في حلقه على جرعتين سريعتين ما يبالي بما قد يصيبه من وراء سخونته القوية ثم تناول معطفه وسدد حسابه وهم بالانصراف .

فما كاد يفتح باب المقهى حتى لفحت وجهه ريح ثقيلة باردة من رياح الشتاء ، يرافقها رذاذ من المطر الهاطل على هون ، وضباب معقود يلامس السطوح ويجثم على الارض ، فبسط مظلته من فوق رأسه يتقي بقبتها البلل الخفيف ثم فكر في الوجهة التي هو موليها . وكانت الساعة التاسعة لم تنتصف ، والنعاس لم يتسلل الى معاقد اجفانه ، فمشى الى الرصيف المسقوف يتدبر فراغ النفس التي تبتئس ووحشة الطبيعة التي تبكي .

كانت حواشي الافق تتلفع باطباق الغيوم السود ، ووجه السماء غضبان يرسل الماء خيوطاً عراضاً طوالا ، وفحمة الليل تروع بالخوف والبؤس والسر ، والزمهرير يصفر في مثل عزيف الجن بالعراء ، ويلعب البرد دوره اللافح في كل هذه الظواهر الكابية ، حتى لكأن الدنيا قد نشرت جلدها الاسحم المقلوب تنذر بشر مستطير كبير .

حار الفتى الغريب في حاله ، فوقف جامداً ما يعرف السبيل الى الفندق الذي يأوي اليه . ونظر فاذا الارض تمور بنقط ثخينة من الماء تقع كالسهم من الفضاء على صفحتها الملساء ، فتتوزع رشاشاً متطايراً الى بعيد ، يختلط مع غيره كرشاش النوفرة الفوارة ثم يحدودب في قوس متكسر متلاوج ليموت على طرف الطريق في الساقية الجارية . وكانت الخيوط الهاطلة تنسل من بين الضباب والريح على شكل مائل حلو رهيب ثم تكون لها على الحجارة الصلدة تكة حادة رقيقة الجرس في الاذن ذكرت الفتى بصوت حبيب طالما استمتع بجماله في بعض الساعات الخوالي ، فعاد بالخيال الى الماضي ينبش من صدره صور اللقاء والنجوى والحنين .. وما أبث ان فطن الى الحاضر المحفوف بالعزلة والمطر والبرد !!

القلب ظمآن رغيب ، لم يبق فيه الحب الذي مات غير الرماد الكالح المذرور على اللحم والشغاف ، وغير الفراغ تتنزى على اطلاله الاحزان والآلام . اذا طاف فيه طائف من الجمال بعد حين ، هاجت كوامنه الاولى ، وتجدد غرامه بشكل عنيف ، وطارت بلابله الغردة تنشد الاناشيد الحلوة الرائعة . وكذلك كان صوت الماء المدرار على الارض يثير لواعج الفتى البائس ، كأنما هبت على قلبه عاصفة من الشعور القوي لا تبقي في صدره عاطفة الا وقد بعثت في جنباتها الحياة ، فازينت واهتزت وانبتت في كل ضلع ألواناً من الزهر المتألق البهيج .

استيقظت نفس الفتى على تكة المطر ، وتفتحت لها منافذ شعوره ، فهم ان يعود في هذه الدنيا المجنونة — والجريان من سمات الحياة — ولكن انة ضعيفة خافتة وقعت في مسمعيه من الوراء فامسكت به عن الانطلاق . وتلفت فاذا امرأة في زاوية من الرصيف ملتفة بالظلام ترتعد ركبتاها ويداها ، وقد لوت جيدها على بطنها كالمعمودة ، فبدت مستديرة كالكرة لولا هذه الارجل النحيلة المتداعية التي تحملها على جهد ونصب . وخطا الفتى نحوها خطوتين قلقتين فما رفعت رأسها ولا نظرت اليه . فراعه ان يكون في الامر سر غير البرد وغير المطر ، واحجم عن سؤالها عما بها فلم

يمسها بكلام ، ولكن أنينها الواهي قد اشتد وجبينه وارتفع صوته ثم اجهشت بالبكاء الطويل اجهاشة المحزون الذي اوفى على الغاية من الالم المكظوم . فشجاه ان يرى في جوف هذا الليل العجيب مخلوقاً يبكي ويتوجع في شكل من هو مقبل على شيء من الموت .

وانحنى عليها يبغي انهاضها ومؤاساتها برفق شديد ، فما كاد يمسك بذراعها حتى زلقت كفه الندية على لزوجة طرية ساخنة ، وأراد ان يصرخ للذين يمشون من بعيد ، ولكن عينيه جمدتا في محجريهما حين ابصرتا من خلال العتمة بقعاً من الدم تزرع الثوب الممزق ومساحب منها قانية تمتد على الارض . وخفت الانين بعض الشيء ، فاستردت المرأة وعيها ورشدها ثم نظرت الى الفتى ،ويدها على صدرها ، وقالت بصوت الراجي الوديع

— سيارة . . من فضلك !

هنالك عرف الفتى اثر الجرح الدامي ، وألم بطرف من القصة الباكية . كانت المرأة ترتدي رداء ورديا لعله من اردية السهرات الليلية ، قد تزركشت فرجته المستديرة حول العنق بشرائط بيضاء مجعدة ، وتأزر وسطه الرخو بنطاق من الجلد الاسود اللامع وانتهت اطرافه العريضة بالوان من الزينة الارستقراطية . وكانت قدماها تنتعلان حذاء دقيقاً من ذوي الاكعب الحمر العالية ، وما كادت تستوي على المقعد الخلفي من السيارة حتى طلبت الى الفتى ان يصحبها الى بيت الطبيب برأس بيروت ثم تمطت واسندت رأسها الى الوراء ، واخذت تتنفس الصعداء ملء رئتيها وصدرها .

كانت الدماء غزيرة تنبثق من اعلى ذراعهـا وتتوزع على ثوبها فاصاب الوجه الجميل منها رشاش خفيف زاد حمرة الخد احمراراً . واراد الفتى ان يضمد الجراح بمنديله فتبلل ، واستبدله بآخر من جيبه وبثالث من جيبها ، وكان الصمت يعقد لسانه كأنما يواسي بعينيه وحركات يديه فحسب . وسألته في الطريق كيف عرف بشأنها وكيف هبط اليها واين كان ومن يكون . .

قال : ما ادري ياسيدتي الا ان انينـاً ارتفع من خلفي على الرصيف ، وعززه بكاء عميق ، وما صحوت اول الامر فقد كنت في غيبوبة من ألم الجراح ، والحمد لله على كل حال ، أفأستطيع ان أجتلي منك حقيقة الحادث ؟ قالت وعضت على شفتيها : آه . . آه من الخونة الفجرة ! ان في الرجال من هو شر من الذئاب لا تتقيه النعاج الا بالتنائي في الحظائر . . وسكتت تجتر في نفسها الندم والتفريط .

وقع في نفس الفتى ان المرأة ضحية السذاجة وفقدان التجربة ، ورنا اليها من زاوية عينه ثم لم بصره حيران مشدوهاً مرتاعـاً ، لان الفتنة ما برزت في مكان بروزها في هـذا الرأس الذي تحمله بين كتفيها : جبين منبسط كالامل ، يعلو عينين سوداوين كالليل قد تقاربت اطرافها القصوى على شكل زاوية حادة ، من فوقها أهداب صارت الى خيوط لامعة مصفوفة في نصف دائرة الجفن الندي . وانف دقيق يتوسط خدين حمراوين يتطرية العصر ، ينتهيان بفرجة الفم الحلو ونتوء الذقن الاغيد ، تأطر كل هذا استدارة الوجه وشعر اصفر منفوش في اعلاه ومجدول بعد ذلك في ضفائر مرسلة على الكتف المديد والظهر المستوي . وكأنما فطنت الى جمالها فقالت للفتى الواجم : الذنب ذنبي انا بعد كل حساب . . ثم ابتسمت في اهمال واضح وكبرياء مقصودة .

كانت تشعر بجسنها شعور المالك لشيء ثمين ليس ينساه في الليل ولا في النهار . أتاها هذا الشعور من امها في الصغر ، ومن أترابها في الملعب ، ومن النظر الى المرآة ، ومن كلام زوجهـا بين حين وآخر : انت جميلة ! وكانت تحرص على ان يبقى هـذا الحسن ساحراً قوياً ، تبتاع له المساحيق والمعاجين ، وتنأى به عن الدخان والغبار ، وتغذيه بالوان من الاطعمة والادوية . ولما وقفت السيارة امام بيت الطبيب ، ترجلت بزهو حزين ، ودخل الفتى معها ساهماً ناظراً . وكان الطبيب من اصحاب الذوق والفطنة ، فيها ادوات التضميد مع خادمه باسرع من لمح البصر ، وتمددت الجريحة على طاولة في صالة العمليات ، فبدت قامتها المديدة على ضوء المصباح الكهربائي كأجمل ما تكون القامات في النساء . ولم ينبس احد بكلمة ، كأنما الدم المراق على صدر الجمال يروع ويخرس ، ومـا كان يشق هـذا الصمت الرهيب غير تكة المطر وعواء الريح من الخارج . وتألقت النار في المدفأة تنشر الدفء والحرارة في أرجاء الغرفة ، وتحلق الجميع ينظرون ولا يتكلمون ، وفي نفوسهم هذا الالم العذب والخوف الجميـل ! كان الطبيب يمسح الدم المتجمد ، ويخيط الجرح العميق ثم يضمد الذراع بالقطن المعقم ويلفه بالشاش الابيض على عدة دورات . وما انقضت ساعة من الزمان حتى ابتسم واعلن الانتهاء . فابتسم الفتى والخادم معه ابتسامات الطمأنينة ثم نهضت الحسناء مفترة الثغر متورمة الذراع من فرط الاقمطة ، واخذت تمشي وتتكلم كأن لم يمسها مصاب .

شكرت الطبيب وشكرت المعاون ، وبينا هي تسل من جيبها ورقة مالية من ذوات الخمسين قالت للفتى بلهجة الفخور

النادم : لو ان الرجال جميعاً في مثل طهرك وطهر هذين ، لعاشت النساء في امان من الغدر بالف خير وعافية !

واستأنفت السير بالسيارة في طريق النهر ، يصحبها الفتى الذي دفعه فضول الشوق الى الركوب معها الان من غير طلب حتى يعلم بقية القصة اوبدايتها كما اضمر ، وحتى يتم ليلته العبقرية في ظلال الحسن والانوثة . المرأة في خيال الشباب نغم مبهم تدور عليه دنيا الاماني والاحلام ، بعضه من الروح وبعضه من الغرائز ، ينعقد جوه الحلو من بخار الهواجس في الرأس المخطوف والقلب المشبوب . والفتى الذي ارتشف من النغم مصة او مصتين يسكر بالنشوة الكبرى ولا يعييه ان يترصد المرأة في اخريات شؤونها . كان يحدثها في الطريق من حيث لا يدرك السائق معنى الحديث ، يسري به عن نفسها بعض هـذه الاشجان التي علقت بصدرها من اثر الجراح وغدر الرجال ، وكاد يفلح لولا ان السيارة وقفت امام بناية فخمة ، فترجلت وترجل معها على قلق واحتشام ، وود لو يستأذنها بالدخول فكانت اسرع منه في تحقيق مناه .

مشيا صامتين ، تتقدمه هي لتشعل الانوار في الابهاء والحجرات وكانت الدار خالية الا من قطة بيضاء مقرورة اخذت تموء بقرب سيدتها العائدة مواء شوق واستعطاف ، فحضنتها ومرغت خدها على خدها ثم اشارت الى الفتى ان يجلس وقالت اهلاً وسهلاً !

ونظر الى ما يحيط به من الرياش ورسوم الجدران فاذا هي تحدثه عن نعمة الثراء واصالة الفن ، وكان الشعور بالم الحرمان أقوى ما اعتلج بنفسه في تلك اللحظات . وكأنما ألمت سيدة البيت بجملة حاله فاقتربت منه تضاحكه على حذر وانشأت تقول :

الابطال ... الابطال في الاثم والفجور ثلاثة يا سيدي ، لا واحد ولا اثنان ، كانوا يختلفون الى هذه الدار مجتمعين او منفردين منذ اكثر من عام . عرفهم زوجي في بعض اسفاره الى الشمال . كان صغيرهم من اخف الناس ظلا واكثرهم ذكاء يجيئنا في الشهر مرتين او ثلاثة ومعه هدية السفر من موز وبرتقال ، فيمكث قليلا يسأل عن الصحة والحال ثم يمضي . والاخران هما من رواد هـذا المقهى المجاور لبيتنا يسمران مع زوجي هناك مرة وهنا مرات . وتوثقت عرى الالفة بيننا وبينهم على الزمان ، حتى لقد اطمأن ابن عمي اليهم اطمئناناً كبيراً لا ريب فيه . على اني نبهته يوماً الى ان اختلافهم الينا على هذا الشكل المتواتر مجلبة للشبهة وتفريط في في الاختلاط ، فاجابني في صراحة القلب الجميل :

ان الصداقة لا تعرف الحدود ولا القيود !

جاءني فؤاد وهو كبيرهم ...

لا أجد السبيل الى النوم ،

وفي نيتي ان ارحل الى الجبـل مهما كاف الرحيل واقتضى هنالك المقام الطويل ، فلن شئت وشاء زوجك فوافياني الى حصرون واقيما عندي اياماً واسابيع ، ننعم بطراوة الجو مع الاخوين الاخرين . وما شيء باعذب الى نفسي من هذه النزهة المشتركة والنقلة بين مراتع اللهو ومناظر الطبيعة .

وحدثت زوجي بهذا الحديث فوقع من نفسه موقعاً جميلا ، وما انقضت ساعة او ساعتان حتى كانت السيارة تنهب بنا الارض نهباً على هذه الطريق الصاعدة الملتوية وقد خلفت من ورائها المدينة الكبرى ملتفة بالظلمة من اطفاء الانوار ، تغسل اقدامها من فرط الحر في ماء البحر . وكنا خفافاً في الجبل لا اثاث ننقله ولا زاد نحمل همه ، شأننا في هذا شأن الاطيار يهجرون الاعشاش الى الاعشاق على حال سريعة طروبة . وكان الثلاثة المنتظرون يطيرون بنا لسرورهم من مكان الى مكان كأنا هبطنا عليهم من السماء ، وحللنا من قلوبهم في السويداء . أجمل ما في حصرون ياسيدي ذهاب المرء مع اللهو مهما تطرف لونه ، وفناء النفس في الحرية مهما عنفت مظاهرها ، وثراء في الحال والرجال ، ثم واد عميق كنا نختلف اليه في اكثر الاحيان ، فما ينشق الليل عن نور الصباح حتى نكون جميعاً على احدى حفافيه الجرداء نتناول طعام الفطور من شاي وزيتون وروكفور ، ثم يتفرق الرجال الى اعمالهم الخطيرة الخفيفة التي أخذوا انفسهم طول النهار بها من شراب وقمار ، وابقى انا وحدي على الوادي اسرح الطرف في قاعه وحوائطه وفيما يطير بسمائه من صنوف الطير والهوام .

كان الوادي احدى كوى الموت وقوى الارض بجانب حصرون له فم قد لا يكون عريضاً ولا واسعاً ولكنه من الطول والانسحاب بحيث لا أدري اين يبتدىء ولا أين ينتهي . وكان بعيد الغور مظلم القاع ، تنظر اليه فيقفز فؤادك هلعاً واضطراباً كأنما ظننت انك هابط منه الى جهنم ركضاً . وتخشاه فتتباعد بينك وبينه اول الامر ثم تألفه على هيبة ثم تأنس به وما تزال بين رهبة منه وحب له حتى يصبح في نفسك حصرون كلها . وكان من عادتي ان اجلس اليه لوحدي ساعات طوال أقذف شدقيـه بين حين وحين بالحجرة من الحجارة تنطلق في صوت رفيع طويل ما أعرف اعذب منه ولا أجمل وقعاً في الاذن ، حتى اذا لامست قاعه في بطن الارض تصاعد منها صوت آخر اجش غليظ يتكسر على صخور الطريق فما يصل الي الا

ملتوياخافتاً كأنه من بعض نجوى النفس وهواجس الضمير . واني كذلك
يوماً في عزلتي على الوادي ، والهواء رخي طـلق ، والشمس فاترة
الشعاع مكسورة البهاء ، اذا بفؤاد من خلفي واقف لا يتحرك فما
رأيته حتى ابتسم ومشى نحوي ثم قال : ماذا تنظرين ؟ . قلت :
طير صغير لا يحسن التهويم بين جنبات هذا الوادي ، ولا يرى الى
الخروج منه سبيلا .. قال : أوتسرك مشاهد الالم ؟ قلت : رب
لذة خرجت من ألم . قال : لعلك قاسية على الحيوان ، أفأنت
كذلك على الانسان ؟ . قلت : لا افهم ما تقول ... وسكت
سكتة من افحم بجواب ، وفهم عني وقد قصدت ... ثم تناول
حصاة فرمى بها الطير المضطرب فاصابه فاماته . وهوى المسكين
الى القاع تسبقه اليه الحصاة خفيفة مدوية . أرأيت الى الرجاء الخاسر
في الرأس الآمل ؟ كذلك قضى الطير الصغير عليه رحمة الله . وتحدر
على عيني شيء كالدمع هو او معنى البكاء . فما رآني فؤاد محزونة
كالباكية حتى زحمني بجسده ونفسه ثم قال : أتبكين أم تتباكين؟

قلت : لا هذا ولا هذا ، ولكنه الالم على الرجاء اذا أفل من
الحياة ، والالم في القلب اذا قسا في الانسان اقال : تناقض غريب
تألمين الان وقد اخرجت من قبل لذة من الالم .. قلت : انك لتتعمد
الايلام والاثارة والاحراج . قال : ولم تنظرين الي بهذه العين القوية
الحادة التي تريد الايقاع ، وما سبب الى الايقاع غير طير هوى ونفس تموت

قلت : هو الطير اذا هوى والنفس حين تموت ، يمدان المرء
بالشعور الخصب الحزين ، ويهيجان العين الى النظر الغاضب العنيف .

قال : دعيني من حديث الشعور وحديث العيون ، فاني لا احسن
الفهم فيهما كثيراً ولا قليلا ..

ثم نظر الي ونظرت اليه فعلمت ان القضية واحدة بواحدة .
وكان زوجي قد اقبل مع صاحبيه يهزهم الشراب والقمار الى
الحديث المتصل الصاخب الذي يدل على اضطراب الحال والبال .
فما كادوا يقتربون منا حتى كان حديثهم قد علا وضجيجهم قد
اشتد . وراعني ان يكون زوجي اكثرهم كلاماً واعنفهم اعصاباً .
فمشيت اليه وامسكت بساعده ثم ضحكت في وجهه واصطنعت
له اللفظ الرطب والموضوع المخدر ، حتى اذا استنام لحديثي رجعت
به الى البيت مدخولة الهم منطوية النفس من فرط ما لاقيت هذا
الصباح من عنت الزمان واحداث الرجال . فلما كان الاصيل وانحدرت
الشمس الى المغيب ، كنا جميعاً على الطريق المعكوفة الضيقة
الموصلة الى هذه القرية التي ترقد في ظل الارز منذ آلاف السنين .
وما دخلنا بشري الا في الساعة الثامنة من الليل ثم اوانا راجعين
الى حصرون على مهل وصمت . فاما زوجي فطرق الى الارض يجعد
حدثاً جرى في النهار ، واما الثلاثة الآخرون فناظرون الى ما امامهم
من ظلمة الوادي وتداعي الافق . ودنا فؤاد مني وقال : ان زوجك
قد فقد هذا الصباح مالا كثيراً ، واخشى ان يتغلغل القمار في دمه
او يسفر الامر عن حادث ، فمن الخير ان ننحدر الى بيروت ، ونتفرق
على حال من الود باق صحيح غير مدخول . خدعني هذا الكلام
النصوح عما يختبي وراءه ، فرأيت ان الرأي ما رأى فؤاد . وبت
ليلتي تلك على قلق واكتئاب . فلما كان الغد همست في اذن زوجي
ان الرحيل لا بد منه ، فما وسعه غير الصدوع بالامر . واقلت كلينا
سيارة كانت على وشك السير الى بعلبك ، فبلغناها ظهراً او بعد الظهر
وما كان الليل الا ونحن في هذا البيت ننام على الفراش الذي هجرناه
منذ عهد بعيد . اذا كانت ايامي بعد ذلك لا تؤرخ ، فلان الهموم
والاحزان لا تاريخ لها في سير الزمان ، وان كان لها كل التاريخ في
حياة النفس . مال مفقود ، وزوج نصف مجنون ، ثم لا مواس ينشر
العزاء ، ولا ولد يبث الرجاء . وما كان الصباح ينديه ابتسام ، ولا
كان المساء يخفف عنه حديث او لقاء . وكذلك قضيت مع زوجي
شهرين قاسيين كأقسى ما تكون المصائب على الناس . فلما كان
الاسبوع الماضي ، وكنت أهيىء طعـام العشاء في الاصيل ، اذا
بفؤاد يقبل على الدار كالمرح اقبال الزائر الباش الذي يوافي بعـد
انقطاع الاتصال ، وحييته على مضض ، وقدمت له كرسياً من
الخيزران ، فما استوى به المجلس حتى تنحنح وسعل ثم قال : ان
اخوي قد ارادا مترددين ان يرجعا المال الى صـاحبه ، وان يعيدا
الحال الى سابق عهده . فمن المفيد ان نجمع بينهما وبين زوجـك
على طاولة قد راق فيها الشراب ، وهـدأت القلوب ، ونشهد نحن
على قرب مظاهر التصافي وافترار الوجوه . قلت : اذا كان لابد
من عودة المال وارجاع الحال ، فليكن الامر في هذا البيت الذي
تسكنه . قال : ان الرجلين ليخجلا من المجيء الى هنا بعد الذي
كان بينهما وبين صاحبه . قلت : وماذا ترى انت يافؤاد ؟ قال :
أرى أن يكون الاجتماع في بيتي انا ، فلعل في ذلك توفيقاً بين الوجهتين
من النظر . قلت : اتفقنا .. فالامر موكول اليك . قال : ومتى؟
قلت : بعد اسبوع .. وذهب فؤاد كالمبتسم . فلما حضر زوجي
في المساء اخبرته بالامر المبرم ، فتهلل وجهه وكاد يقبلني من الفرح .
فلما كانت الليلة هيأت نفسي على ما ترى ، واصطحبت زوجي ،
ومضينا الى حي الاشرفية مما يلي الناصرة . كانت المائدة حقاً
من النوع الذي راق فيها الشراب ، فانتصبت الكؤوس الملأى

وجـــه

قص

عليّ هذه الحكاية كاهن شيخ في ايام طفولتي ولا ازال اذكرها وافكر في منشئها . منذ بضع مئات من السنين كُلّف فنان كبير برسم لوحة زيتية لحائط وسيع في كاتدرائية احدى مدن جزيرة صقلية . وكان موضوع تلك اللوحة حياة السيد المسيح . قضى صاحبنا الرسام سنين عديدة وهو يعمل بجد ونشاط حتى اذا اوشك ان ينهي لوحته الا الوجهين الرئيسيين فيها وهما : وجه المسيح الطفل ووجه يهوذا الاسخريوطي اخذ يبحث في طول البلاد وعرضها عن سحن يأخذ عنها ذينك الوجهين . وفيما هو يطوف حياً قديماً من احياء المدينة مرّ باطفال يلعبون في الشارع . ولم تكد تقع عين الرسام على وجه احدهم وهو في الثانية عشرة من عمره حتى خفق قلبه لذلك الوجه الملائكي اذ رأى فيه ، رغم قذارة الغلام ، الوجه الذي يسعى وراءه . مضى الرسام بطفله الى بيته وأخذ عنه وجه المسيح الطفل . سوى ان اللوحة بقيت ناقصة فقد اعيى الرسام الاهتداء الى الشخص الذي يأخذ عنه وجه يهوذا . وبقي سنين طويلة وهو في خوف مستديم من ان لا يستطيع اتمام تحفته النادرة . ولكنه لم ييأس بل داوم البحث والتنقيب . وذاع خبر اللوحة في طول الجزيرة وعرضها فكان الذين يرون في ملامحهم المكر والخداع يفدون على الفنان ويعرضون عليه ان يأخذ عنهم وجه يهوذا . ولكنه لم يقع في احدهم على الوجه الذي يصح ان يتخذه نموذجا لوجه يهوذا الذي كان في نظره رجلا عطلته الحياة ونهكه انصياعه لجشعه وشهواته . وفي عصر يوم فيما هو جالس في المقهى يحتسي كأسه المعتادة رأى شخصاً هزيلاً رث الثياب يدخل المقهى متعتعاً ، ثم يقع على الارض مستغيثاً مستجديا : « اعطوني خمراً ، اعطوني خمراً » فانهض الرسام هذا السكير وما كان عظم دهشته عندما رأى الوجه الذي يريد . فقد تراءت له على تلك السحنة البشرية جميع رذائل الانسان وعيوبه . بنشوة من الفرح رفع الرسام الشيخ ذلك الخيال المتهدم واوقفه على رجليه . وقال : « تعال معي واعطيك خمراً ، واعطيك طعاماً ولباساً » وراح الرسام يعمل بحماسة وحرارة مواصلاً الليل بالنهار لينجز لوحته الناقصة . وسرعان ما أخذ يلاحظ ان تبدلا كبيراً بدأ يطرأ على الرجل الجالس امامه . فقد تحول ما كان مستولياً عليه من تراخ وذهول الى تنبه بل الى توتر غريب وتمركزت نظراته الواجمة وعيناه المغرورقتان على مثاله المرسوم في اللوحة . ولاحظ الرسام هذا الاضطراب البادي عليه فسأله قائلاً : « ما بك يا بني ؟ » فشهق الرجل ووارى وجهه بين يديه . وبعد فترة طويلة رفع نظره الى وجه الرسام الشيخ وقال له مستعطفاً : « ألا تذكر اني جلست امامك منذ سنوات فاخذت عني وجه المسيح الطفل ؟ ! ! » .

(معربة بتصرف) ابو تمام

وتحلقت حولها صحون الماظة والتوابل . فاما الوسيط فكان يكثر من الضحك والدعابة والكلام ، حتى قرما بين النفوس من التنافر .

نهض فؤاد وقال : كأس المحبة يا اخوان . فدفع زوجي كل ما في الكأس الى جوفه ، وطرب من اثر الشراب ، ثم نظر فاذا الزجاجات قد فرغت ، فأقسم ليذهبن بنفسه الى السوق يشتري منها ما وجب . فحمل مظلته ، وما كاد ظله يتوارى تحتها وراء الباب حتى ضحك فؤاد كأنما كان يكظم شيئاً يريد أن يقوله ...

قلت : المال يا فؤاد ! قال : انما المال حاضر ، لكن ... فما راعني بعد « لكن » الا واحد من الرجلين ينهض مسرعاً الي فيقبلني قبلة ما عرفت كيف انتزعت ، والا آخر يمد يده الى صدري فيحل ازراره . فاما فؤاد فأمسك بي . هنالك حاولت ان اصرخ الصرخة التي تجمع الجيران او تردع الغزاة ، ولكن يداً غليظة عريضة اطبقت على في فكدت اختنق لولا اني انتفضت انتفاضة انجتني من الاختناق وما انجتني من الآثمين . قال فؤاد : اسرعي .. قلت : ماذا ؟ قال : اسرعي قبل ان ينالك ما لا تحبين ! قلت : ان ما تطلبون اليّ ايها الانذال لابعد من نجم السماء ..

ونظرت فاذا خنجر مشهر فوق كتفي يكاد يمسه بجده الدقيق الملتمع . هنالك جننت ونفرت ثم لم اعلم مما حدث بعد ذلك شيئاً وما رأيتني الا راكضة تحت المطر بكل ما تملك ساقي من القوة على الركض ... وتوقفت المرأة عن الكلام وقد بكت بكاء صحا معه الفتى مما دار في رأسه من الخواطر السود ، وتمثلت له افاعيل الغريزة في الشكل الموجع الخسيس ثم بصق الى بعيد بصقة وقعت على الارض كالقرش الكبير

محمد روحي فيصل — حمص

كلمات سائرة

بقلم شفيق طباره

◆

تدور على السنة العوام في لبنان كلمات نسمعها كل يوم في مختلف المناسبات ومعظمنا لا يحيط بها خبرا وقد رأيت ان اعرض فيما يلي بعض ما استقصيت منهـا وارجو ان يجد القراء في ذلك متاعاً ولذة يخففان عنهم اثقال هذه الايام .

قرفته حلوه

ومن جملة ما نسمع على لسان العامة قولهم عمن نستلطفه ان (قرفته حلوه) والقرفة نوع من العيدان العطرة يستعمله البعض في الشتاء مشروباً ساخناً كالشاي ومصدر هـذا الاستعمال حلقات الذكر وقد جرت العادة ان يقدم فيها للضيوف مشروب القرفه وتقديمه دون نظام واتقان فالقرفة تصنع على عجل وتقدم حيثما اتفق فهذا يناله فنجان سكره قليل وذاك سكره كثير وغيره قرفته حلوة وآخر غير حلوة . وحينما يتسلى الساهرون يتحدثون عن صاحب الدعوة ويذكرون نوع القرفه التي قدمها فيصفها كل واحد حسبما ذاقها في فنجـانه وتحول المعنى مع الزمن وانتقل من المذاق الحسي الى المذاق المعنوي فاصبح الناس يصفون اللطيف المعاشرة بان قرفته حلوه .

شمع الخيط

ويقال شمع الخيط لمن هرب في احتيال . واصله كما يروون ان امـيراً سمع بمهارة محتال فاستدعاه وقال له : — اني اجزل لك العطاء ان استطعت ان تحتال علي . فقال المحتال : اعطني مائة دينار فاشتري بها (عدة الاحتيال) فاعطاه وامر بن يرافقه لئلا يهرب . ثم حضر بعدته فضرب الامير فسطاطاً دعا اليه رهطاً من اصدقائه ليشاهدوا اللعبة . وكان مما احضره المحتال بكرة كبيرة ذات خيط طويل فتقدم الى الامير وقال له :

امسك بطرف الخيط لاشمعه والعب به لعبتي . فامتثل الامير واخذ المحتال يشمع الخيط ويتراجع قليلاً قليلاً حتى بعد واختفى عن الانظار وعندها بحث عنه رجال الامير فلم يجدوه وبذلك تمت لعبة المحتال وفاز بالمال ومن هنا نشأ هذا التعبير (شمع الخيط) .

كلام الليل يمحوه النهار

ومن المصطلحات التاريخية قولنا لمن يخلف الوعد (كلام الليل يمحوه النهار) واول من قال ذلك جارية لمحمد بن زبيدة الامين . ففي كتاب العقد الفريد عن ابي جعفر انه قال : بينا محمد بن زبيدة الامين يطوف في قصر له اذ مر بجارية سكرى من جواريه وعليها كساء خز تسحب اذياله فغازلها فقالت : — يا امير المؤمنين انا على ما ترى ولكن الى غد ان شاء الله . فلما كان الغد مضى اليها فقالت له : — يا امير المؤمنين اما علمت ان كلام الليـل يمحوه النهار . فضحك وخرج الى مجلسه ثم دخل عليه الشعراء ابو نواس ومصعب والرقاشي في موعدهم فقال لهم : — ليقل الان كل واحد منكم شعراً يكون آخر شطر منـه (كلام الليل يمحوه النهار) فقال الرقاشي :

متى تصحو وقلبك مستطار	وقد منـع القرار فلا قرار
وقد تركتك صباً مستهاماً	فتـاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت	(كلام الليل يمحوه النهار)

وقال مصعب :

اتعـذلني وقلبي مستطار	كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي	بالحاظ يخالطهـا احورار
ولـما ان مددت يدي اليها	لالمسها بدا منها نفـار
فقلت لها عديني منك وعداً	فقالت في غد منك المزار

فلما جئت مقتضياً اجابت	(كلام الليل يمحوه النهار)

وقال ابو نواس :

وخود اقبلت في القصر سكرى	ولكن زين السكر الوقار
وهز المشي اردافاً ثقالا	وغصناً فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها	من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت	(كلام الليل يمحوه النهار)

فقال لهم الامير : اخزاكم الله او كنتم معنا ومطلعين علينا . ثم امر لكل منهم باربعة آلاف درهم .

فشر

ويقال في رد المعجب بنفسه (فشر) وهي كلمة مأخوذة من فشار مختصر (خنفشار) . وخنفشار اسم احد المشايخ وكان لا يسأل عن علم او فن الا اجاب عنه مستشهداً بكتب العلماء فذاع صيته واعجب بعلمه قوم فدأبوا على التردد اليه حتى ارتابوا بصحة ما كان يقوله فاجتمعوا وقالوا : يكتب كل منا حرفا في قرطاس ثم تجمع تلك الاحرف كلمة لا وجود لها في اللغة والاصطلاح ونمتحنه بها فان اجاب عنها علمنا ان ما يجيبنا به اختراع وان انكرها او صرح بجهله اياها وثقنا به فكتبوا ثم جمعوا الاحرف فكانت خنفشار فجاؤوه وسألوه عنها فقال على الفور : هو نبات ينبت في مشارق اليمن وهو سبط الساق دقيق الورق مستدير الزهر يضرب بياضه الى حمرة قال ابن البيطار انه حار في الدرجة الثانية رطب في الاولى وقال داود البصير انه يذهب الخفقان ويجلو آلام النفس وقد جربته العرب في ادرار اللبن فقال شاعرهم :

وقد جذبت محبتكم فؤادي	كما جذب الحليب الخنفشار

ثم قال : وقد ورد في الحديث وكاد يذكره فقاطعوه وقالوا كفى يا شيخنا قد كذبت على الاطباء والعرب والشعراء فلا تكذب على الرسول ايضاً واخبروه بما كان فخجل وانقطعوا عن سؤاله . والفشار عند العامة هو كلام الهذيان والبطل والكذب وربما كان اصل الفشار الخنفشار فحرفت والعامة تبني منها فصلاً فتقول فشر!

لأرينك نجوم الظهر

ويقال لأريك نجوم الظهر واصلها من الفصحى (لأرينك الكواكب ظهراً) روى الميداني ان حليمة بنت الحرث بن ابي شمر ملك عرب الشام حضرت احدى المعارك محضضة لعسكر ابيها فزعمت العرب ان الغبار ارتفع يومئذ حتى سدّ عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدة عن مطلع الشمس واخذه زياد بن ابي سفيان فقال في احدى خطبه المشهورة عام ٤٥ هجرية حين كان في صف علي وحرّض الازد على نصرة صاحبه وتحدى معاويه فقال : والله لو اذن لي فيه او ندبني (اي الحسن) اليه (لأرينه الكواكب ظهراً) ويضرب في الوعيد .

ان شاء الله

ومما ترده الالسنة بحكم العادة عبارة (ان شاء الله) تقال بعد كل امر مشيئته موكولة الى الله . وفي هذه الكلمة ايمان بالقضاء والقدر ويرى الغربيون فيها كثيراً من توا كل الشرقيين . وفي الكتاب المقدس رسالة يعقوب ص ٤ عدد ١٣ (ايها القائلون نذهب اليوم او غداً الى هذه المدينة او تلك وهناك نقضي سنة واحدة نتجر ونربح انتم الذين لا تعرفون امر الغد يجب ان تقولوا ان شاء الله وعشنا نفعل هذا او ذاك) ويقول بعض المفسرين ان اليهود سألوا النبي (صلعم) عن اهل الكهف فوعدهم بان يجيبهم في اليوم الثاني ولم يقل ان شاء الله فنزلت الآية (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان شاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشداً) سورة الكهف ٢٣

للحيطان آذان

واصل هذا القول ان يشوع بن نون حاصر اسوار اريحا بجيش جرار واذ اعياه الاستيلاء على المدينة امر جنده ان يدقوا الابواق ولم يلبث قليلاً حتى دقت فسقطت اسوار المدينة على اصوات الابواق المزعجة وهذا السقوط هو ما يثبت لنا القول المأثور : للحيطان اذان ويضرب في موضع الحذر والتيقظ .

مالطه يوه

ومما يقال (مالطه يو) لرجل ينكر الواقع او في موضع السخر برجل لحجمه عن الاتيان بعمل اما كسلاً او خوفاً اوجهلاً ويحكى ان هذا القول لاحد امراء الاسطول التركي قالوا ان في

حرب سنة ١٨٠٠ صدرت الاوامر الى احد امراء البحر بالخروج الى جزيرة مالطه فغـاب باسطوله مدة ثم اتى الاستـانة ولما سئل عما فعل قال (مالطه يوقدر) يعني مالطه غير موجودة وذلك لانه لما جنّ الليل تجهز للقتال ونشر خريطة حرب كانت عنـده مطوية واثار شمعة ووضعها على الخريطة وشرع يبحث عن الجزيرة ولكن بدون جدوى لان اسمها كان سهواً تحت الشمعه ..

يسوى ثقله من الذهب

وتقول (بيسوي ثقله من الذهب) لرجل ذي اخلاق . واصلها ان العرب الاقدمين كانوا اذا قتل منهم قتيل يفرضون الدية على القاتل وتكون الدية بمقدار وزن القتيل ذهبا او فضة وهي مـا يودي الى اهل القتيل اخماداً للاخذ بالثأر ومنعاً من الانتقام .

اللي ما بيجي معك تعا معو

وتقال (اللي ما بيجي معك تعا معو) في مـوضع التساهل ورويت عن رجل ادعى النبوة فاستدعاه امير البلاد وسأله عن ادلة نبوته فقال : ان في استطاعتي ان ادعو الشجرة ثلاثا فتدعن وتأتي اليّ . فقال الامير : افعل لنرى صدق قولك فدعا الرجل شجرةً كانت هناك فما اتت . ثم دعاها ثانيا وثالثاً ولم تأت ، عندئذ تقدم نحو الشجرة فقال له الامير : لِمَ ذلك ؟ قال الرجل : ان هذا من رسالة التسامح الذي ادعو اليه ومن آياتها يا سيدي : اللي ما بيجي معك تعا معو .. فضحك الامير .

وعلى هامان يا فرعون ؟

ويقال للمفرط في كذبه (على هامان يا فرعون) وذكروا ان منشاء هذا القول قديم . وكان سبب ذلك ان فرعون الملك ادعى الالوهية وزعم ان في استطاعته ان يحيي الموتى وكان وزيره هامان شاعراً بالخلط الذي يدعيه مولاه فجاء ذات يوم احد الناس وطرق باب فرعون ففتح له الوزير هامان وسأله عن حاجته فقال :

— معي بقرة ميتة ارجو احياءها . فقال له هامان :

— انا آسف لان الملك منهمك الآن بخلق البشر لا البقر .

فذهب الرجل من حيث اتى فاقفل هامان الباب ودخل تواً غرفة مولاه وحدّثه عما كان من امر الرجل فاستاء الملك ووبخه على فعله وقال : عندنا وقت يزيد عن عمليات احياء البشر فكم خيّبت رجاء صاحب البقر ؟

فضحك هامان وقال : وعلى هامان يا فرعون ؟

وذهب مثلًا والمعنى ظاهر .

الطيبات للطيبين

وهذا قول من الاقوال الرمزية التي كانت شائعة قديمـاً في الخطبة ويزعمون ان اول من قال ذلك الامير محمد الشهـابي ويذكرون ان والده نزل ضيفاً على الامير يوسف المعنيّ سنة ١١٧٥م فخطب ابنته (طيّبة) وذلك انه كان معه في حديقـة جميلة الازهار فقال والده : المياه عذبة . فقال محمد : والارض (طيّبة) فقال الامير يونس : وانت اطيب يا محمد . فقال الامير محمد : الطيبات للطيبين وذهبت مثلًا ويضرب للمتوافقين .

شفيق طبارة



الادب التركي الحديث

ناظم حكمت

ناظم حكمت ، صاحب مقتطفات شعرية عدة · حمل معها الى الشعر التركي نبرة جديدة وحساسية قشيبة · اجرى ابياته على لغة سهلة يفهمها الكل وهو الفنان والكاتب المتمسك باسلوبه الرفيع الرائع ·

يقول في مقطوعة « الصفصافة الباكية »

« كان الماء يجري
« عاكساً في مرآته ظل شجرات الصفصاف .
« وكانت الصفصافات الباكيات تغسل شعرها في الماء .
« والفرسان الحمر الجادّون صوب الغرب
« كانوا يمتشقون سيوفهم ويضربون جذوع الصفصافات
« وفجأة ، كطائر هيض جناحه
« سقط احد هؤلاء الفرسان عن جواده ،
« لم يصرخ . ولم يستصرخ رفقاءه .
« انما كان يشيع بعينيه الجاحظتين
« حوافر الخيل المرسلة شرارات في ملتويات الابتعاد
« أواه ! هو لن يستطيع بعد اليوم
« أن ينحني فوق لبان جواده المزبد
« ولا أن يلعب بالحسام وراء الجيوش البيض ·
« وكان وقع الحوافر يخفت شيئاً فشيئاً .
« والفرسان ، أقرانه ، يتوارون اثر الشمس الغاربة . .
« ايها الفرسان الحمر المجنحة شعورهم بالريح
« وجيادهم مجنحة بالريح
« الجياد . . الريح . .
« الجياد . . .
« الجواد . .
« والحياة تجري كالجياد المجنحة بالريح ·
« خفت صوت الماء الجاري
« وتلاشت الاظلال واكفهرت الخيالات
« والالوان امحت ·
« وانسدلت ستائر سود على عيني الفارس الصريع
« وانحنت الصفصفات الباكيات على شعره الاشقر
« لا تبكي ايتها الصفصافة الباكية
« لا تبكي
« ولا تتلوي على مرآة الماء القاتم
« لا تتلوي
« ولا تبكي بعد اليوم ·

احمد قدسي

يحتل احمد قدسي بين شعراء الترك الشباب منزلة جد مرموقة · وهو الى علو الموهبة الشعرية دقيق الحس على بعد في الخيال · جمع في ديوان أجمل قصائده ·

في قصيدة « امام الموقد » يقول .

« سيطرق بابك ذات مساء طرقاً خفيفاً
« فتختلج الاشياء حولك فجأة .
« تنهضين فوق وساداتك الباردة
« وتفتحين الباب بيد مرتجفة .
« ويظهر امامك شبح ليس غريباً عنك
« خذي بكتفيه وهزّيه ،
« حتى لو كان هيكلاً عظمياً ،
« دعيه يطوقك ويغمرك بقبلات خرس ·
« وعندما يؤوب الشبح الى جحيمه
« اوصدي الباب وراءه
« وعودي الى الموقد واجلسي امامه ، وحدك ، مع نفسك
« صامتة تدفئين يديك وتنظرين اليها .

غطوس الرامي

اسكندر دياس الاب

◆

ولد اسكندر دياس الاب في الخامس من ترميذور في السنة العاشرة للجمهورية (٢٤ تموز ١٨٠٢) وتوفي في الخامس من كانون الاول ١٨٧٠ . وكان قوي البنية جلوداً على العمل . هبط باريس في العام ١٨٢٣ ليطلب معونة رفاق والده في الجندية فلم يرحب به الا الجنرال فوى الذي سعى لتعيينه خطاطاً في دوائر مستشارية الدوق دورليان براتب قدره الف ومئتا فرنك . وما عتم الامر ان اخذ يمارس الكتابة فنظم قصيدة في وفاة الجنرال فوى (١٨٢٦) وأصدر مجموعة قصص (١٨٢٦) وفي العام ١٨٢٩ وضع مسرحية هنريكوس الثالث وبلاطه فنالت اعجاباً كبيراً حتى في نظر الدوق دورليان الذي لم يكن كبير العطف على مرؤوسه فرفع مرتبه الى الف وخمسمئة فرنك . وسرعان ما طارت شهرة دياس حتى رؤي له انه قادر على مزاحمة فيكتور هوغو فترك الخدمة في دوائر الدوق دورليان وانصرف الى التأليف . ولما انطلقت ثورة ١٨٢٠ انضم الى الثوار وبامر من لافاييت توجه الى سواسون لتنفيذ مهمة عسكرية ثم الى فانده ليساعد على تأليف فرقة من الحرس . سوى انه لم يلبث طويلًا في الحياة العسكرية وعاد الى القلم . وشاء حسن الحظ ان يعشق السيدة ميلاني ولدور ، زوجة احد الضباط . ومن هذا العشق استوحى مأساة « انطوني » التي مثلت اكثر من مئة مرة . وفي العام ١٨٣٤ فكرت لجنة « الكوميدي فرانسيز » في اعتماد هذه المسرحية ، ولكن وزير الداخلية منعها بحجة انها تسيء الى الاخلاق . اما اليوم فأنطوني استرجعت مكانها في حلقة (الماتينه كلاسيك » بالاوديون . وصفوة القول ان اسكندر دياس بقي من العام ١٨٣١ الى ١٨٤٣ يشغل مختلف مسارح باريس بمسرحياته التالية : نابوليون بونابرت او ثلاثون سنة من تاريخ فرنسا ، وهي في ستة فصول كتبها دياس بثمانية ايام . وكارلوس السابع ، وريكاردوس دارلنغتون ، وتريزا ، وزوج الارملة ، وبرج نيسل ، (وهذه الاخيرة نالت فوزاً لم يسبق مثله الى يومنا هذا ، وقد اثارت بين فوردريك كايارده ، واضع الصيغة الاصلية ، وجول جانين الذي صححها ، ودياس الذي كتبها من جديد نزاعاً ادبياً انتهى بمبارزة وباقامة دعوى .) وكاترين هوارد ، وانجيل ، ودون جوان ده مارانيا او سقوط ملاك ، وكين ، وبيسكيلو ، وكاليكولا وبنحو من ثلاثين مسرحية اخرى يضيق بنا المقام عن تعدادها . استهل دياس الاب عهده الادبي بكتابة قصص صغيرة كانت الخطوة الاولى نحو اطول اختراعات كتابية في الادب الحديث ، في طليعتها الحراس الثلاثة وبلانش ده بوليو ، وشروبينو وسلتيبي ، وماريا ، والكبيتال بول ، ومغامرات دون جوان ، وفارس ارمنتال ، وبعد عشرين سنة ، والفيكونت ده براجيلون ، والكونت ده مونتكريستو ، وقد نحتاج الى اكثر من ثلاث صفحات من هذه المجلة لتعداد كل ما اخرجته مخيلة هذا الكاتب العجيب . ولكن بالرغم من هذا الانتاج الذي لم يسبق مثله في كل ما اخرجه الدماغ البشري واليد البشرية كان دياس يجد متسعاً من الوقت لمراقبة بناء قصر مونتكريستو الذي شيده بالقرب من سان جرمان واستنفد قسماً كبيراً من المبالغ الهائلة التي درها عليه قلمه ، وللقيام برحلات الى اسبانيا والجزائر مع ابنه ولوي بولانجه واوجين جيدو ، ولادارة مسرح « التياترو التاريخي » وغير ذلك . على ان ثورة ١٨٤٨ كانت شؤماً على اسكندر دياس ، فقد سقط في الانتخابات وفشلت جريدته « الحرية » ومجلته « الشهر » ووضعت الحكومة ضريبة باهظة على القصص الشعبية هددته في صميم ثروته ، فترك باريس الى بروكسل ، عاصمة بلجيكا ، وبقي فيها حتى العام ١٨٥٤ . وفي بروكسل كتب جيل بلاس في كاليفورنيا ، ومذكراته ، واسحق لاكديم (وهي من نوع اليهودي التائه لاوجين سو ، وكان بوده ان يصدرها في ثلاثين مجلداً لو لم تعطلها المراقبة الامبراطورية) وغيرها .

ولما عاد الى فرنسا في العام ١٨٥٤ استأنف حياته الكتابية بدون انقطاع حتى توفاه الله في العام ١٨٧٠ . فلم يشهد الكارثة الموجعة التي حلّت بوطنه ولم تفسح هذه الكارثة السبيل الى تشييع جثمانه بالابهة اللائقة به . وفي الرابع من تشرين الثاني ١٨٨٣ احتفل في ساحة ماليشرب بباريس بتدشين تمثاله الذي نحته غوستاف دوره . وقد نحت المثال المشهور على قدم التمثال معظم الاشخاص الذين خلقهم دياس في قصصه .



« اوراق » للدكتور منير العجلاني

الاستاذ الدكتور منير العجلاني ، وزير الشباب في سوريا ، مفخرة من مفاخر الادب في هذه البقعة الطيبـة من الشرق ، ليس لانه يجيد الصياغة الى حد ، ويحسن التفكير الى مدى ، ويجمع الى ثقافته الشاملة ذوقاً لطيفاً وحساً مرهفاً فحسب — والا لكان كسواه من جلة ادباء هذا البلد — بل لانه يضيف الى ذلك كله اخلاصاً لرسالته الادبية ، وايماناً اكيداً بها ، ومحبة عاملة لا نزاع في صدقها تدرجه في عداد الصفوة النادرة من اركان النهضة الكريمة ، في هذا الصعيد الكريم من الشرق العربي .

ويقيننـا ان الوضع الجديد في شقيقتنا الباسلة ما احسن كاحسانه في اختيار العجلاني لمنظمة يرتكز عليها كيان الامة ، ولو ان جميع الحكومات تحت هذه السماء الفتية وعلى هذا الصعيد الاخضر تعتمد الانوار في الفكر والحب في القلب لفضت المشاكل او اتت على الكثير من مصاعبه . فالشباب اذا لم يسع ولم يعمل لا يسعى الناس ولا يعملون ، فهو قلب الحياة وهو يدها وفكرها . وبين الشباب والعمل اتحاد وثيق لا غنى عنه لكل مجموعة بشرية تصبو الى النهوض وترغب في البقاء . وهذه « الاوراق » التي صدرت اخيراً للعجلاني تزخر بالشباب ، ففيها روحه واعراقه ويده وفكره بعضها جنود للفكرة الوطنية تعمل قبل اي شيء على ايقاظ الامة وتذويقها لذة الكرامة والاستقلال ، وبعضها جنود للفن تعمل على المضي به الى الكمال . فالعجلاني يستهدف الاصلاح في كل مـا يكتب ، يستهدف الاصلاح حتى في مباحثه الفنية الخالصة ، حتى في « الاوراق » التي « يتعرى منها » او « ينكرها اليوم » لبعـد العهد بين بيانه اليوم وبيانه امس . وليست اوراقه الا صدى لما يضطرب في نفوس الشباب ، او هي الشباب في آماله وطموحه ، في هدوئه وثورته ، في روعته وجماله ، وهي صفحة صادقة من حيـاة سوريا في السنوات الاخيرة المنصرمة وفي العهد الذي تعيشه اليوم . فمجلة « الاديب » التي تربطها بالدكتور العجلاني رابطة صداقة ووفاء توجه الى وزير الشباب اصدق عواطفها سائلة الله ان يبلغ الشباب في عهده اشهى امانيه وآماله .

الرؤوس المستبدلة

حول كتاب جديد للاديب الالماني توماس مان

قضت النازية على المانيا والبلدان التي احتلتها بقحط ادبي شديد . وقضت على كبار الادباء بالصمت والتشرد . ومن هؤلاء الكاتب الشهير توماس مان . فقد اضطر الى الانسلاخ عن وطنه الام ، لما ضربت عليه النازية بظلها القاتم . فالتجـأ الى سويسرا ثم الى الولايات المتحدة حيث استطاع ان يتابع انتاجـه الادبي وينشط نشاطاً فكرياً سياسياً لسنا بصدد بحثه الان . ولا شك في ان توماس مان نقطة من نقاط التماس التي يلتقي فيها الضمير الالماني بالضمير الانساني المتمدن ، وقد كادت النازية تنجح في قطع الصلة بينهما قطعاً باتاً . ومما يدعو الى بعض العجب والاعجاب ان توماس مان ، وهو في غمار هذه الحرب الجارفة ، قد اصدر مؤخراً سفراً روائياً صغيراً لفت اليه الانظار لفتاً قوياً . اما اسمه فالرؤوس المستبدلة ، اسم غريب لموضوع غريب . ولقد نحا توماس مان في مؤلفه منحى الرمز ، ولا بد لنا من التمهيد بتلاوة قصته ولو تلاوة مقتضبة . يحمل الكاتب الالماني القارىء الى جو الهند ، ويطوف به في الادب السنسكريتي ، فيبني مؤلفه على اسطورة رمزية عريقة في القدم . فيذكر الالهة كالي ، وهي آلهة هندية تمثل القوة التي تجمع في طاقتها المتناقضات ، فتستطيـع منح الحياة كما تستطيـع منح الموت ، وتقدر على هبة الحرية كما تقدر على فرض الرق والعبودية .

ويروي الكاتب حديث شخصين استهل امرهما لما بدأ الناس يعقلون (ونحن بالطبع لا نعرف متى بدأ ذلك !) وقامت بـين الاثنين صداقة صافية متينة . كان كلاهما في ميعه الشبـاب ، اسم احدهما شريدمان واسم الآخر ناندا . اما شريدمان ، وهو الاكبر سناً ، فكان اعظم ثروة واعرق منبتاً . واما ناندا فكان وضيء الطليعة ، جميل الراس منصرفاً الى ما ينصرف اليه عامة الناس من مشاغل الحياة وطلب المتعة والمرح .

واتفق ان خرجا في تجارة ، فما زالا حتى اتيا معبد الآلهة كالي فعرجا عليه لرياضة روحية يشتد فيها تأملها ويزداد تمازجها ، فقد آليا ان يتقاربا حتى يصبحا — وهما الشخصان — كأنهما الشخص الواحد ألفة طباع واخلاق . فلما احتوتهما عتمة المعبد واوغـلا في

رياضتها الروحية اذا بفتاة رائعة التكوين تهجم عليها بجمال طلعتها . وكان ناندا قد عرفها من قبل في احدى الحفلات وهي تدعى سيتا . ولم تلبث الفتاة ان توارت . وقال شريدمان لصديقه : شد ما احببت سيتا للنظرة الاولى . ولست اكتمك انني يوم لا اجد سبيلاً الى تزوجها ، سافارق الحياة كارهاً ومختاراً . فارتاع ناندا وقال له : لن يكون من ذلك شيء : ويوم تموت انت فسأموت انا . هذا مقطوع لك مني . وانني لاعرف سيتا ، وما اقدرني على تزويجك بها ، وانت الغني العاقل الكريم الاصل .

ومضى الصديقان الى والد الفتاة . فما اسرع ما قبل ان تزف سيتا الى شريدمان . وكان شريدمان عظيم السعادة . وانتقل بزوجته الى قريته حيث بات ناندا يزورها . ثم خطر للثلاثة ان ينطلقوا يوماً لزيارة والد سيتا . وفيما هم في الطريق مروا بمعبد كالي حيث وقع اللقاء الاول بين الزوجين ، وحيث تم التعاهد بين الصديقين فرأى شريدمان ان يميل الى المكان ولو لحظة . وكان لا يدع فرصة من رياضة روحية تفوته . فلما مثل وحده بين يدي الآلهة شخص اليها ، وقد جعلت لها عقداً خرزاته من جماجم ، ومدت بثماني عشرة ذراعاً بسطت فيها كفها الغليظة . فخامره ارتياع . واحس برائحة الدم تنفذ وتنتشر في خياشيمه . فقرن ذلك بحياته مع زوجته . وانتهى الى ان سيتا لم تجد به من الغبطة والرضى ما وجد بها . واشرق في ذهنه معنى نظراتها الى صديقه ناندا وما تستر وراءها من شعور . فعظم ذلك عليه واستل سيفه فأطاح به رأسه عند سفح تمثال الآلهة ، وخر صريعاً .

واستبطأ ناندا وسيتا عودته . فلحق به فاذا هو يجده جثة مفصولة الراس عن الجسد . فقبضه الحزن وتذكر عهده المقطوع لصديقه ، فاخذ سيفه واطاح به رأسه هو الآخر . وانقضى وقت فلحقت بهما سيتا ، فارتاعت لما رأت ان هذا زوجها وهذا حبيبها ، كلاهما قتيل ! فمسها شعور بانها المسؤولة عن الفاجعة . وسمعت الالهة تقول لها : انا اردت تاديبك . وما دمت قد ندمت ، فانك اذا عاهدتني ان ترشدي بعثت في الشخصين الحياة من جديد فعاهدتها سيتا ، فامرتها الالهة بان تأخذ الراسين وتلصقهما بالجسمين وكأن سيتا لم تكن خالصة النية في عهدها للالهة ، فنسيت في اضطرابها ان ترد كلا من الرأسين الى صاحبه . فلما عاشا كان رأس حبيبها بين كتفي زوجها ، ورأس زوجها بين كتفي حبيبها ! . ولبثت حائرة ممزقة العاطفة تتساءل : الى ايهما تميل وظل عذابها صامتاً يتأكل قلبها . هذه هي خلاصة رواية توماس مان : الرؤوس المستبدلة . ولا شك انه نحا فيها منحى الرمز كما قلنا ، فليس قصده ان يعالج مشكلة الزواج والخيانة الزوجية وعسير علينا ان نجزم بما رمى اليه مان . فمن شأن الرموز ان تحتمل التأويل لا التأويل ، وكل يفهم بها ما هو مهيأ لفهمه .

وقد نستطيع ان نقول : ان شريدمان مثال جمال العقل ، وناندا مثال جمال الجسم آثرته سيتا (رمز الانسانية) بحبها . فهل أحبته لجمال جسمه المجتمع سحره في رأسه ؟ لم اذن بقيت حائرة معذبة لما انتقل الرأس الى زوجها ، فلم تنتقل عاطفتها بانتقاله ولم تكره ناندا ؟ وعلى ذلك فقد كانت ترى في راس زوجها ناحية ترضي جانباً من قلبها . ولكن ذلك كان خافياً عليها فلم يظهر ارتباكها الا حين وقع انتقال الرؤوس . وينتج من هذا كله ان الحب لا يمكن ان ينحصر في جمال بحت جسمي او بحت عقلي . واذا ذهبنا في الاستنتاج الى ابعد انتهينا الى ان الفضيلة عامة — لا الحب وحده — لا تقوم على محض العرض او الجوهر ، على الشكل وحده او المحتوى ، على المادة او المعنى ، على القالب او المضمون ، بل على مزيج متسق من كل من الاطراف .

ولعل الكاتب الالماني الكبير قصد هذا . ولعله اراد ان يعلم وطنه المانيا والانسانية درساً في ضرورة الجمع بين المظاهر المادية والقيم الرفيعة .

رئيف خوري

الكتاب الذهبي

ذكرى مولد « الهلال »

غنمت المكتبة العربية بالكتاب الذهبي الذي اصدرته دار « الهلال » في القاهرة سفراً نفيساً بل اثراً غالياً اشترك في اخراجه صفوة طيبة من مفكري مصر وسائر الاقطار العربية . وقد تناول الكتاب كل بحسب اختصاصه تطور الحركة الادبية والسياسية والاقتصادية في الخمسين سنة التي انصرمت من حياة « الهلال » فكان لنا بحوث جليلة في « الحياة السياسية » للدكتور بهي الدين بركات باشا ، و « الجيش المصري » للفريق احمد حمدي سيف النصر باشا ، و « النهضة النسائية » للسيدة هدى شعراوي ، و « الحياة الاقتصادية » للدكتور حافظ عفيفي باشا ، و « التقدم الصناعي » لاسماعيل صدقي باشا ، و « التطور الزراعي » لفؤاد اباظه باشا ، و « القضاء والمحاماة » لمحمد علي علوبة باشا ، و « الدين ورجال الدين » للشيخ محمود ابو العيون ، و « النهضة الطبية » للدكتور علي ابراهيم

باشا ، و « التطور الخلقي » للدكتور منصور فهمي بك ، «والتربية والتعليم »للاستاذ محمد رفعت بك ، و « الادب واطواره »للدكتور احمد ضيف بك ، و « الصحافة » للاستاذ عباس محمود العقاد ، و « الهندسة والعمران » لاحمد راغب بك ، و « الاكتشافات الاسلامية » للاستاذ محمد عبد العزيز مرزوق ،و « والاكتشافات الفرعونية » للاستاذ محرم كمال ، و « التمثيل العربي » للاستاذ خليل بك مطران ، و « الفنون الجميلة » للاستاذ محمد حسن ، و « جغرافية الشرق والغرب في خمسين سنة » للدكتور محمد عوض محمد ، و « تطور التفكير العالمي في خمسين سنة » للاستاذ سامي الجريديني ، و « احداث التاريخ في خمسين سنة » للاستاذ محمد عبدالله عنان ، و « العالم سنة ١٩٩٢ »للدكتور امير بقطر ،و « الادب بعد خمسين عاماً » للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ، و « القضية العربية في خمسين سنة » للاستاذ حبيب جاماتي ، و « الادب والادباء في العراق » للاستاذ محمد رضا الشبيبي ، و « النهضة الادبية في الديار الشامية » للاستاذ محمد كرد علي . وتناول الكتاب ايضاً اثر « الهلال » ومؤسسه في الحركة الثقافية خلال الخمسين سنة فكتب الاستاذ احمد امين بك في جرجي زيدان كمؤرخ واديب والدكتور طه حسين بك في اثر «الهلال» ومنشئه في الادب الحديث وحدثنا الدكتور محمد حسين هيكل باشا عن عهده بالهلال والاستاذ انطون الجميل بك عن ذكرياته عن الهلال ومنشئه ، والاستاذ انيس المقدسي عن رسالة الهلال في الشرق العربي ، وارسل الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري تحية بليغة ، وكتب الاستاذ فكري اباظه مقالا عن صلته بالهلال طوال سبعة عشر عاماً ، والاستاذ طاهر الطناحي عن الهلال في نصف قرن ، والاستاذ عبد الوارث كبير عن مولد الهلال في العام ١٨٩٢ . واشتملت هذه البحوث على طائفة من الصور تمثل رجال النهضة المصرية ومختلف أطوارها . وقد افتتح « الكتاب الذهبي » بكلمة تفضل بها صاحب الجلالة الملك فاروق الاول وبصورة كبيرة لجلالته ، وبكلمات لصاحب السمو الملكي الامير عبد الاله ، الوصي على عرش العراق ، ولصاحب السمو الامير عبدالله ، امير شرق الاردن ، والمغفور له الشيخ تاج الدين الحسني ، رئيس الجمهورية السورية ، وصاحب السمو الامير عمر طوسون . وانطوى « الكتاب الذهبي » على جملة صور ملونة كبيرة للمغفور له الملك فؤاد الاول ، وصاحبة الجلالة ملكة مصر وقاعة العرش بقصر عابدين ، والبرلمان المصري ، والمغفور له سعد زغلول ، والمغفور له محمد عبده ،والمغفور له مصطفى كامل والمغفور له احمد شوقي ، والمغفور له جرجي زيدان ، مؤسس الهلال ، وعلى صور كبيرة تمثل درساً دينياً في الجامع الازهر ، وخزان اسوان ونهضة مصر ، وجمال الريف المصري ، وتوت عنخ آمون . اما الصور الاخرى التي ازدان بها هذا الاثر الجليل فمزروعة في جميع صفحاته بجبوحة لم يسبق مثلها ، حتى ليصح القول بان « الكتاب الذهبي » دائرة معارف وفنون لنصف قرن سلخ من حياة مصر . فمجلة « الاديب » تهنىء « الهلال » بعيده الذهبي سائلة الله ان يمد عمره زخراً للادب والعلم

بيغي ونحن (1)

على اثر الكارثة التي حلّت بفرنسا ،في تلك الضعضعة الموجعة التي انتابت الشعب الفرنسي ، قامت في الاوساط الادبية التي تألبت — في الوهلة الاولى — حول المرشال بيتان ، متمسكة به كما يتمسك الغريق بحبال الهواء ، حركة ترمي الى اصلاح فرنسا على الاسس التي بنتها الامجاد الفرنسية سواء في السياسة او في الادب . وسرعان ما تكونت حول المرشال طائفة من الادباء راحت تطري القيم الفرنسية زاعمة ان السبب في الانهيار الاخير يرجع الجانب الاكبر منه الى صدوف الجمهورية عن هذه القيم واعتناقها مبادىء وتعاليم لا تتفق وتقاليد فرنسا في الادب والسياسة .

وبديهي ان هذه الحملة كانت مدبرة للحط من كرامة النظام الجمهوري واسقاط رعايته في اعين الفرنسيين . وكان لامرتين وميسترال وبيغي في طليعة الادباء الذين تبناهم حواريو «الثورة الوطنية» المزعومة ، او رسل « الاستسلام » على الاصح . فعينت الاكاديمية جوائز لمن يدرس هؤلاء الادباء ، وتألفت في كل مكان اندية ادبية باسم اصدقاء بيغي ،وامتلأت الصحف بالاحاديث عن بيغي ، حتى لقد خيل الى من لم يعرف من هو بيغي وماذا كتب بيغي ، واذا علم بيغي ان هذا الاديب الذي مات كما يتمنى ان يموت ، ميتة جديرة به ، ميتة البطل المدافع عن مثله الاعلى ، عن بلاده ، كان ابا « الثورة الفيشية » والنافخ في بوقها قبل ان يذر لها قرن بنحو من ست وعشرين سنة .

على ان الادباء الفرنسيين الذين كانوا لحواريي فيشي بالمرصاد في الجانب الآخر من ساحة الجهاد لم يلبثوا مكتوفي الايدي حيال هذا الاختلاس الذي لا عهد بمثله في تاريخ الفكر ، على حد تعبير الاستاذ جان غولميه في المقدمة التي وضعها لمختارات نثرية جمعها من مختلف ما كتبه شارل بيغي واصدرها في كتاب حجة مفحمة على

1— Péguy et Nous — Problèmes Français, 2me Série No 10

مزاعم رجال فيشي . فقد عمد المجاهدون من ادباء فرنسا الى دحض هذه المزاعم في صحفهم ومجلاتهم ولم يسيروا على غرار الفيشيين في اساليبهم التمويهية بل اعتمدوا البرهان القاطع والحجة الدامغة . وكان آخر هؤلاء الاستاذ جان غولميه فترك الكلام لشارل بيغي نفسه يدمغ به « شارحيه » الذين لم يقرأوه .. او لم يفهموه ولم يجرؤوا على الاستشهاد بشيء من اقواله .

قال بيغي في الجمهورية التي يحاربها « محبوه » او « متبنوه » :

« يحدثوننا دائماً عن الانحطاط الجمهوري . ولكن يجب ان نعدل . فحين يراد المقابلة بين نظام ونظام يجب المقابلة بينهما على اساسين متجانسين . يجب المقابلة بين صوفية وصوفية كما يجب المقابلة بين سياسة وسياسة . ولا ينبغي المقابلة بين صوفية وسياسة او بين سياسة وصوفية ..

« ان القوة الوحيدة التي تتمتع بها الجمهورية هي ان للجمهورية من يحبها . والحب هو القوة الوحيدة والقيمة الوحيدة . لئن يكن ثمة مقدار كهذا من الخلق عاش للجمهورية وشقي لاجلها كل ذلك العيش وذلك الشقاء ، وآمن بها كل هذا الايمان ، ومات في سبيلها كل هذا الموت ، وتحمل لاجلها تلك المصائب كلها فهذا هو الامر الواقع الذي يحسب له حساب ، وهذا هو الامر الذي يؤسس نظاماً ويجعله مشروعاً . حين اقع في « الاكسيون فرانسيز » على ذلك العبث وتلك السخرية وفي الغالب الكثير على تلك الشتائم احس بالم ، فأولئك الناس يريدون ترميم اقدم فضائل نسلنا ، ولكن اية ثقافة تؤسس على العبث والسخرية والشتيمة ليست سوى بربريات .

« انا جمهوري مستقيم وثوري قديم . وليس في زمن الحرب الا سياسة واحدة هي سياسة الائتلاف الوطني .. واني لسياسة الائتلاف الوطني على سياسة مجلس بوردو .. فللذي لا يستسلم حق على الذي يستسلم ..

« عندما يخون اولئك الرجال فرنسا وفي فرنسا الجمهورية اجدني محقاً في ان اقول انهم لا يخونون فرنسا فحسب بل يخونون الثورة نفسها والحرية . »

وقال بيغي في الفروسية والطغيان : « يمكن القول بان الفرنسيين لا يزالون في العالم الحديث الممثلين الفضلاء لنسل الفروسية وان الالمان هم الممثلون المهددون لنسل السيطرة . ولذلك لا نبالغ اذا اعتقدنا ان العالم باسره ينقرض معنا ، وان هذا العالم انما هو عالم الحرية نفسه ، وعالم الظرف والكياسة .

« ان المانيا لن تستطيع ان تعمل فرنسة من جديد . فالقضية هي قضية نسل . ولن تستطيع ان تعمل حرية وظرفاً . فكل ما تستطيعه انها تعمل سلطاناً وسيطرة .

« حين يقول الفرنسيون انهم يبنون امبراطورية استعمارية لا ينبغي ان نصدقهم . فهم ينشرون ويذيعون حريات .

« ليست القضية قضية غلبة بل هي قضية استبدال . ليست القضية ان تسحق برلين باريس بل القضية ان تحل برلين محل باريس . »

هذه امثلة خاطفة مما انتخبه الاستاذ جان غولميه للمجموعة التي اصدرها باسم « بيغي ونحن » وهي لعمري كافية لدحض المزاعم الغليظة التي جرؤ عليها مختلسو بيغي ، فلاح وادي اللوار ، الذي يمت بصلة قربى الى صوفية بول فرلين وقدرته على التسلل الى اعماق الاسرار البشرية بسذاجة في الشعور والتعبير لا عهد لنا بمثلها الا في ادب القرون الوسطى ، والذي كان يقول : « قل الحقيقة ، كل الحقيقة ، ولا تقل الا الحقيقة . عبر ببلاهة عن الحقيقة البلهاء ، وبملل عن الحقيقة المملة ، وبحزن وكآبة عن الحقيقة الحزينة الكئيبة » هذا الشاعر الذي مات كما يتمنى ان يموت ، مدافعاً عن وطنه ، وعن عقيدته الجمهورية التي ماحال عنها يوماً ، هذا الشاعر الفلاح الذي كان يحس ويرى كميسترال ويكتب ككورنيل ، هذا الشاعر الذي لم يكن من اصحاب المواهب — هذه العملة الدارجة — بل من اصحاب النبوغ . ففي شعره اختراعات عجيبة ، فقد كان يخترع الصور والرموز بالسهولة التي يخترع بها سواه السخافات والاراجيف ... ولم يكن ادبه الرمزي مقتصراً على كلمة مزخرفة بلهاء ، او معنى مبهم غامض بل كان يرمز في ادبه الى الوجه المادي في البشر والاشياء ويجعل شعاع الروح منفذاً في هذا الوجه .

ا . ا . ش .

مجلة الطريق

بلغت زميلتنا مجلة (الطريق) البيروتية عامها الثاني ، وهي المجلة التي انشأتها عصبة مكافحة النازية في لبنان وسوريا لتكون رسالة التحرير الفكري وتشرف عليها لجنة مؤلفة من الاساتذة عمر فاخوري كامل عياد ، يوسف يزبك ، رئيف خوري ويرأس تحريرها الاستاذ قدري قلعجي . ومجلة الطريق ، بما تعالج من مواضيع ادبية وسياسية غنية عن الاسهاب في تعريفها . فلا زالت سائرة الى امام تؤدي الرسالة التي انشئت من اجلها .

مجمل الأحداث السياسية والحربية في شهر

مونتيفيديو ١ شباط — علم ان التدابير تتخذ في البرازيل لتدريب بعثة عسكرية لتنضم هذا العام الى قوات الحلفاء التي تحارب في اوروبا وافريقيا . برلين — اكد غوبلز في خطبته الاخيرة التي جاءت بعد خطبتي هتلر وغورنغ بأن الخطر يهدد المانيا بالفناء . واعترف بوجود فئة من المتحدثين بالصلح في المانيا ، كما انه اعترف بخطورة الحالة في الميادين الروسية ولكنه اعتذر بان الجنود الالمان معرضون فيها لمحن وتجارب فوق طاقة البشر وانذر معطلي الجهود الحربية بالعقاب القاسي واعترف بان المرحلة الحالية هي اشد لحظة مؤثرة في عهد هذا النزاع التاريخي . لندن — عين الاميرال دونيتز الالماني خلفاً للاميرال ريدر في القيادة البحرية العامة الالمانية والاميرال الجديد هو من الاختصاصيين في حرب الغواصات . روما — اقال موسوليني الجنرال كافاليرو وعين خلفاً له الجنرال فيتوريو امبروزيو ويعزى سبب اقالة القائد العام للقوات الايطالية الى غضب موسوليني ازاء فشل قواته في جميع الميادين .

لندن ٣ — اعلن راديو برلين انتهاء المقاومة في ستالينغراد وصرح احد كبار الضباط الالمان الذين وقعوا بالاسر بانه كان للمحوريين في ستالينغراد ٣٠٠ الف رجل يتألف منهم الجيش السادس وعناصر الجيش الرابع الروماني ، واعلن ان الماريشال بولوس وقع اسيراً ، وفقد المحور حتى ٣٠ كانون الثاني الماضي في ميدان ستالينغراد ١٥١٧ دبابة و ٧٥٠ طائرة و ٦٠ الف سيارة ومهمات واعتدة حربية اخرى كثيرة . لشبونه — اعلن الصليب الاحمر المبرتغالي ان الصليب الاحمر السويسري احدث فرعاً خاصاً لاسعاف اطفال اليونان . وقد وزع حليب مجفف على ٢٥ الف طفل في اثينا والمدن اليونانية الاخرى . لندن ٤ — وصل الى لندن المسيو ماسيغلي سفير فرنسا السابق في انقره واحد رجالات الوزارة الخارجية الفرنسية البارزين مدة خمس عشرة سنة وقد قوبل قدومه الى عاصمة انكلترا بارتياح واعلن انضمامه الى فرنسا المحاربة .

انقره ٥ — اعلنت وكالة اناضول التركية ان الرئيس تشرشل سلم الرئيس اينونو قبل بدء المباحثات في مؤتمر اطنه رسالة ودية من جلالة الملك جورج السادس ، وسلمه المستر تشرشل رسالة خاصة من الرئيس روزفلت فطلب الرئيس اينونو من المستر تشرشل ان يقدم شكره لجلالة الملك جورج السادس كما انه ابرق للرئيس روزفلت شاكراً .

كلكوتا ٦ — قامت بعثة الصحافة التركية بزيارة مصانع الاسلحة في منطقة « راولبندي » بالهند حيث شاهدوا الوف العمال الهنود يشتغلون ليلاً ونهاراً في سبيل الدفاع عن الهند كما شاهدوا مئات الدبابات والاعتدة الحربية الهامة التي تخرجها مصانع الهند .

بيروت ٧ — عقدت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الطبي العربي السادس الذي تقرر عقده في لبنان خلال الصيف القادم جلسة في ديوان وزير الصحة فتقرر عقد جلسات المؤتمر بين العاشر والثالث عشر من شهر تموز عام ١٩٤٣ اما الموضوعات التي ستطرح للبحث في المؤتمر فهي امراض الرئة طبياً وجراحياً ، مناخات لبنان ، مميزات مصايفه ومشاتيه وابحاث طبية اخرى هامة .

بغداد ٨ — قررت حكومة العراق ايفاد من يمثلها الى الهند لشراء مختلف البضائع لحساب دائرة التموين . القاهرة — تتخذ وزارة المعارف المصرية التدابير اللازمة لانشاء المعهد الثقافي المصري في لندن على ان يكون هذا المعهد تحت اشراف السفارة المصرية وسيقوم المعهد بتنظيم محاضرات واحاديث ثقافية عن مصر والشرق العربي .

واشنطن ١٠ — صرح المستر جيمس سايس مدير الشؤون الاقتصادية العام الاميركية بان سنة ١٩٤٣ ستشاهد تطبيق الخطط المرسومة لغزو اوروبا وهذا الغزو سيؤلف اعظم عملية حربية عرفها التاريخ حتى الان . واشنطن — اعلن تطهير جزيرة وادي الكنار من القوات اليابانية وكانت خسائر اليابانيين في تلك الجزر وحدها ما يقارب الخمسين الف قتيل واكثر من الف ومائة طائرة واحدى وسبعين باخرة

القاهرة ١١ — احتفلت الامة المصرية اليوم بعيد مولد جلالة الملك فاروق الاول ملك مصر .

موسكو — تبين ان اسباب ترك الالمان عدداً كبيراً من السيارات والطائرات اثناء الزحف الروسي ناتج عن قلة البترول ويسرع الروس الان في الاستيلاء على مناجم الفحم الغنية في حوض الدونيتز .

روما ١٣ — اعلن رسمياً استقالة اعضاء وزارة البانيا ولم تذكر الاسباب . واشنطن — اذاعت شركة ستاندرد اويل في نيوجرسي انه بوشر انتاج المطاط الصناعي المستخرج من رواسب زيوت البترول في احد مصانعها وان معدل الانتاج السنوي في هذا المصنع سيكون مليون

اطار من اطارات السيارات في السنة ، وقال انه ينتظر تأسيس ثلاثة مصانع اخرى من هذا النوع في خلال الاشهر الثلاثة المقبلة .

انقره ١٤ — استدعت حكومة انقره سفراءها في روسيا ورومانيا وبلغاريا للاجتماع في العاصمة التركية مدة ثلاثة ايام وذلك على اثر محادثات تشرشل اينونو في اطنه .

واشنطن ١٥ — اعلنت وزارة الحربية الاميركية ان الجنرال ماك ارثور قائد جيوش الحلفاء في استراليا والباسفيك اجتمع بالماريشال ويفل قائد جيوش الهندالبريطانية لوضع خطط الهجوم الكبير على اليابان تشترك فيه جيوش الهند والصين وغيرها من قوات الحلفاء . لندن — صرح المستر ايدن خلال مناقشة في مجلس العموم بان الموقف يتحسن بغية توحيد الفرنسيين وقال انه يعتقد بان هناك دلائل مشجعة فالفرنسيون يتكتلون من تلقاء انفسهم وان اهم شيء لكسب الحرب هو ان يتحد الفرنسيون الذين يؤيدون القتال ضد المانيا واكد المستر ايدن انه لم تعقد في الدار البيضاء ولا في سواها اتفاقات سرية بين بريطانيا العظمى واي كان .

انقره ١٧ — يؤخذ من اقوال المقامات الروسية في انقره انه ينتظر ان يصدر قريباً التصريح الذي يجدد العلاقات بين الروس والاتراك وسيكون ذلك فاتحة لعهد جديد بين الدولتين . لندن — زار الوفد الصناعي التركي مصنعاً للطيران فتكلم رئيسه معرباً عن اعجابه بالمجهود الحربي الذي يبذله الشعب البريطاني ونوه بالصداقة القائمة بين تركيا وبريطانيا العظمى واثنى على العمال وروح التنظيم والطاعة في المصانع .

بيروت ١٨ — وصل فخامة الجنرال كاترو عائداً من لندن بعد ان زار الجزائر ومصر فاستقبل بالحفاوة التي تليق بممثل فرنسا المحاربة في هذه البلاد ، وباشر استقبال المهنئين والزوار من مختلف الطبقات العالية .

نيويورك ١٩ — وصلت الى ميناء نيويورك البارجة الفرنسية ريشليو بالرغم من اصابتها باضرار ، وجاء ايضاً الى هذا الميناء الطرادة الفرنسية مونتكالم والمفهوم ان المدمرات الاميركية هي التي قامت بحراسة ريشليو ومونتكالم من دكار حتى الولايات المتحدة . واشنطن — اذاع المستر ماك نات رئيس لجنة القوة في الرجال بانه بعد اسبوع سيكون لدينا سبع فرق وبعدشهر واحد سيكون لدينا ٢٨ فرقة وسيبلغ عدد الرجال الذين انضموا الى الجيش هذه السنة وحدها ما يوازي عدد الذين انضموا الى الجيش الاميركي في العام ١٩١٧و١٩١٨ وختم قائلاً : اننا ننشيء قوة مسلحة لم يسجل التاريخ مثلها لان الحقائق الراهنة تبين حاجتنا للقيام بعملنا على افضل وجه .

واشنطن ٢٠ — اذيع ان الجنرال الكسندر عين قائداً عاماً لجميع القوات الحليفة في تونس على ان يكون بمثابة مندوب للجنرال ايزنهاور الذي يتولى القيادة العامة في شمالي افريقيا وقد جاء الجنرال الكسندر الى الجبهة وباشر اعماله . واشنطن — تألفت لجنة خاصة من اعضاء الكونغرس الاميركي لدرس ما يجب تأمينه من القواعد في المحيطين الهادي والاطلسي في سبيل سلامة اميركا ومن المرجح ان تحتفظ اميركا بعدد كبير من القواعد بعد الحرب ايضاً . لندن ٢٢ — وصل الى عاصمة بريطانيا العظمى الجنرال شاديك دي لافالان عضو البعثة العسكرية الفرنسية لدى الجيش البرازيلي وقد وضع نفسه تحت تصرف اللجنة الوطنية الفرنسية .

موسكو ٢٢ — وصلت القوات الروسية الزاحفة باتجاه دنيبر — بتروفسك الى بعد ٣٠ ميلاً من هذه المدينة ومن منحنى الدنيبر ويدور قتال عنيف جداً في منطقة كراتوآرمنسك وفي غربي كرازنودار تقدم الروس وانتزعوا مواقع جديدة وفي جنوبي اوريل عبر طابور روسي النهر واحتل عدة مواقع هامة ويزحف الجيش الروسي غرباً في منطقة خركوف .

باريس ٢٥ — اذيع على جميع الضباط والجنود المسرحين ان يسجلوا اسماءهم لدى البوليس . انقره — اذاع رئيس الجمهورية التركية عصمت اينونو بياناً على الشعب التركي اوضح فيه موقف تركيا من الحرب الحاضرة وقال اننا لا نضمر روح العداء لاية امة من الامم وهدفنا الوحيد هو حماية اراضينا وكياننا وشعبنا . لندن ٢٦ — ارسل ملك اليونان برقية وجهها الى الرئيس كالينين يبرهن فيها شخصياً وبلسان شعبه عن اعجابه بالقوات السوفياتية الباسلة وعن ثقته بها ان يراها يوماً تسحق الباغين الالمان الظالمين . لندن — تفيد التقديرات الرسمية ان اكثر من مائة الف طن من القنابل القيت على المانيا وايطاليا وبعض اراضي اوروبا المحتلة من قبل سلاح الجو الملكي و٥٠ الف طن اسقطت على اهداف عدوة اخرى وذلك في خلال الاثني عشر شهراً الماضية .

لندن ٢٧ — المفهوم ان السيدة شان كاي شك دعيت لزيارة بريطانيا بعد انتهاء زيارتها لاميركا وهناك ما يبعث على الاعتقاد بانها تلبي الدعوة . القدس — اعلن ان مدة السير هارولد ماكمايكل قد انتهت في فلسطين وجاء من لندن ان مدته جددت عاماً آخر ابتداء من ٣ اذار القادم .